

مجلة معنية بشؤون المجتمعات العربية في الشمال الإفريقي

العدد 31

يناير 2026

السنة الثالثة

رئيس التحرير

د. عيد وحيده

رئيس مجلس الإدارة

م. عصمت ضيف الله الملهطاني

سنة الهجَّة

الأثري .
عبدالله موسى لعشيبي

الثابت والمتحول في الشعر البرقاوي

صراع الهوية والتجديد بين الإلقاء والتلحين

د.خالدالزغيبي



السادة الحاصلون على نجوم ذهبية




د.عيد وحيده



م.محمود الفحام



أ.حسني جرامون



أ. ناجي بو المسمارية



د.خالد الزغيبي



أ. عبد الله أبو زوير



أ.د. إبراهيم العايش الاثري



. عبد الله لعشيبي



أ.د. حسن شعبان



أ. قدورة العجني



أ. صابرين الصباغ



د. رمضان ياسين






نهنيء دكتور خالد الزغيبي لحصوله على النجمة الذهبية الثانية بمجلة هلنا



تعريف بالسادة كتاب هذا العدد





د. خالد الزغيبي

استاذ فلسفة القانون بجامعة بنغازي .. رئيس الشؤون الليبية بمجلة هلنا



د.م. إبراهيم شعبان

كبير مهندسي صناعة السفن في مصر واليابان واوربا



د. عيد وحيده

شيخ الصحفيين وعضو المجلس الأعلى للصحافة العربية - رئيس تحرير مجلة هلنا



د. سيد شعبان

كلية دار العلوم



أ. عبد الله أبو زوير

كاتب وأديب ومدير عام ببنك مصر سابقا



أ.د. إبراهيم العايش

أستاذ العلوم السياسية بجامعة سرت



م. محمود الفحام

شاعر وعضو إتحاد الكتاب .. رئيس القسم الأدبي بمجلة هلنا



أ . عبدالله لعشيبي

مدير الاثار بمطروح



أ. رناجي بو المسفارية

عضو لجنة التراث بمطروح - رئيس قسم تراث البادية بمجلة هلنا



د . محمد مطر

محاضر قانوني



أ. حسني جرامون

صحفي وكاتب بالصحف المصرية .. رئيس القسم الإجتماعي بمجلة هلنا



م. عصمت ضيف الله

رئيس مجلس ادارة مجلة هلنا

إقرأ في هذا العدد

همهنا
مجلة كل العرب

رئيس التحرير
د. عيد وحيده

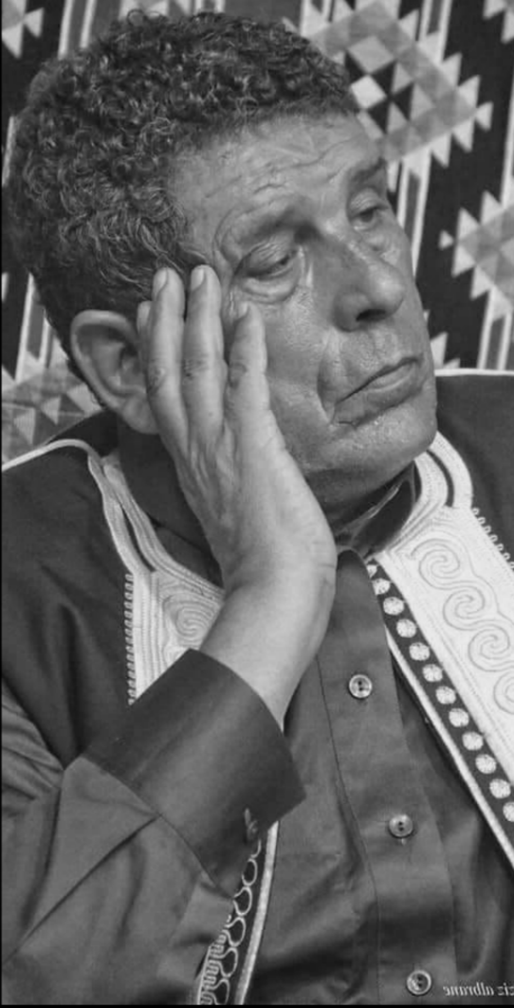
رئيس القسم الأدبي
م. محمود الفحام

رئيس القسم الإجتماعي
أ. حسني جرامون

رئيس قسم تراث البادية
المستشار ناجي بو المسمارية

رئيس قسم الشؤون الليبية
دكتور خالد الزغيبي

رئيس مجلس الإدارة
م. عصمت ضيف الله الملهطاني



الثابت والمتحول في الشعر البرقاوي

صراع الهوية والتجديد بين الإلقاء والتلحين

بادئ ذي بدء .. يمثل الشعر الشعبي البرقاوي ذاكرة جماعية ووعاء ثقافياً يحمل في طياته تاريخ وهوية قبائل السعادي والمرابطين في المنطقة الممتدة من العقيلة غرباً إلى غرب نهر النيل. وهو ليس مجرد كلمات موزونة، بل هو نظام ثقافي متكامل، تتداخل فيه القيم الاجتماعية والتاريخ والبيئة الصحراوية وأنماط إلقاء مميزة تشكل بمجموعها هوية هذا الشعر التي صمدت عبر الزمن.



د.خالد الزغيبي
أستاذ فلسفة القانون
جامعة قار يونس

في العقد الأخير، برز تحول جوهري يهدد، من وجهة نظر كثيرين، هذه الهوية، يتمثل في ظاهرة تلحين القصائد بالآلات الموسيقية، مما أثار جدلاً حاداً بين حراس التقليد ودعاة التحديث، ليصبح المشهد ساحة لدراسة إشكالية (الثابت والمتحول) في أعمق تجلياتها.

أولاً: الإلقاء كأساس وهوية

يمثل (الثابت) في الشعر البرقاوي تلك العناصر الجوهرية التي حافظت على كينونته وهويته عبر الأجيال. وأبرز هذه الثوابت هي أنماط الإلقاء التقليدية، فهي ليست مجرد طرق أداء، بل هي شفرات ثقافية تحمل دلالات خاصة. (فالطبيلة) بإيقاعها المنتظم تنتظم المشاعر وتشحنها بصيغ سمعية مصاحبة للشعر، و (ضمة القشة) تعكس الدعة ودائرية المناجاة المستوحاة من آلية الحصاد، بينما تحمل (المهجاة) حكمة العجائز ووعظهن ، وتجسد (الشتاوة) المنافسة والفخر في المحافل، وتمثل (المجرودة) روح التسري والبساطة والعذوبة، في حين ترتبط (غناوة العلم) بالقول الجامع في سياقاته المتعددة.

هذه الأنماط تشكل نظاماً إيقاعياً داخلياً يكفي نفسه بنفسه، قائماً على مهارة الشاعر في استخدام صوته ونبراته وإيقاع كلماته دون حاجة إلى مؤثرات خارجية.

يؤمن الكلاسيكيون، وعلى رأسهم الشاعر الفحل (مراد البرعصي)، بأن جوهر الشعر يكمن في القصيدة ذاتها، في قوة مفرداتها، وصحة وزنها، وعمق معانيها، وبلاغة حكمتها. ويرى أن الإلقاء الخالي من الموسيقى يضع النص تحت مجهر المتلقي، ليحكم عليه من خلال قوته الذاتية، مما يجعله اختباراً حقيقياً لمقدرة الشاعر. فالموسيقى، في رأيه هو وفريقه الداعم، ستتحول إلى (مسكنات) تخفي ضعف النص، وتشغل السامع عن جودة الكلام.

مراد يرى أن الشعر البرقاوي ليس فناً للتسلية وحسب، بل إن له وظيفة اجتماعية يمارسها في نفوس مستمعيه، فهو منصة نشر الحكمة، وتسجيل الأحداث، والفخر بالأنساب، والتفاخر في المساجلات. لذا فالإلقاء المباشر يخلق جواً من الحميمية والاتصال المباشر بين الشاعر والجمهور، مما يعزز هذه الوظائف في إطار تجربة جماعية مباشرة.

ثانياً: التلحين كتجديد وجدل

مع تغير وسائل الإعلام وانتشار القنوات الفضائية ووسائل التواصل الاجتماعي، ودخول أجيال جديدة إلى دائرة الإلقاء والتلقي، برز(المتحول) متمثلاً في الغزو اللحني، وهو التحول الأبرز، حيث لم يعد الإلقاء التقليدي كافياً لجذب جمهور واسع في عصر يتسم بالبصرية والسمعية السريعة.



فأصبحت القصائد تلحن وتوزع بمصاحبة أحدث الآلات الموسيقية كالأورج والدرامز، متجاوزة القانون والعود والزمارة.

يرى الشعراء من الجيل التالي، من أمثال بو رجعة، والسكوري، وبو ستة، واللافي، وعابد البرعصي (نجل مراد)، أن العالم قد تغير وأذواق الناس تطورت. فالتلحين ليس تشويهاً، بل هو تطريز للنص الشعري يزيده رونقاً وجمالاً، ويجعله أكثر قدرة على استثارة المشاعر وإيصال المعنى. ويرى هؤلاء أن هذه الرؤية التلحينية ليست بديلاً عن النص، بل هي حاملة له، تيسر انتشاره بين شرائح قد لا تنجذب إلى الإلقاء التقليدي. حيث يعتقد هذا الجيل أن الموسيقى أسهمت في كسر الحواجز الجغرافية والمحلية، فالقصيدة الملحنة تنتشر بسهولة عبر اليوتيوب وتطبيقات التواصل، لتصل إلى أبناء القبائل في المهاجر وإلى محبي الشعر من غير المتخصصين، مما يضمن استمرارية هذا التراث في بيئات جديدة.

ثالثاً: نموذج البرعصي الأب والابن

تتجسد إشكالية الثابت والمتحول في أبهى صورها في الحوار - أو الصراع - بين جيلين داخل عائلة شعرية واحدة.

مراد البرعصي حارس المعبد:
يمثل البرعصي الأب موقف (الثابت) المتشبث بالأصل، فرفضه القاطع للتلحين ليس مجرد تحفظ جمالي، بل هو دفاع عن هوية ثقافية يرى أنها ستذوب إذا انفتحت على المؤثرات الخارجية. إنه يخشى أن تصبح الموسيقى هي النجم، ويصبح الشعر مجرد كلمات مغناة، فتضيع بلاغة النص وفنياته في زحام الألحان.

عابد البرعصي ابن عصره :
يمثل الابن عابد البرعصي تيار (المتحول) الواعي بمتطلبات العصر، فهو لا ينكر أصالة الإلقاء، لكنه يرى أن التلحين هو لغة العصر التي يجب مخاطبة الناس بها. وهو بذلك لا يريد التخلي عن الجوهر (النص الشعري) بل يريد تغليفه بشكل جديد يضمن بقاءه وحضوره.

رابعاً: تجديد الكلاسيكي: الشتاوة أنموذجاً

في رد فعل عملي على دعوى أن التجديد لا يكون فقط بالموسيقى، قدم مراد البرعصي حلاً وسطياً، أثبت مراد أن (المتحول) يمكن أن ينبثق من داخل (الثابت) نفسه، دون الحاجة إلى كسر قوالبه. فعملية تطويره للشتاوة على نحو غير مألوف هي رسالة قوية مفادها أن التجديد ليس خيانة للأصل بل إحياء له.

لقد استخرج مراد من ترسانة الأنماط التقليدية إمكانيات كامنة لم تكن مستغلة بالكامل، ربما طور في الإيقاع الداخلي، أو دمج بين خصائص نمطين، أو ابتكر طريقة أداء صوتية جديدة ضمن الإطار التقليدي للشتاوة. هذا الفعل يؤكد من خلاله مراد البرعصي أن الشعر البرقاوي ليس كتلة متحجرة، بل هو كائن حي قابل للتكيف والنمو من داخله، مستفيداً من أدواته الذاتية دون حاجة إلى مقومات خارجية.

ومراد بذلك يروم تفنيد حجة الجمود بتطويره للشتاوة، حيث سلط الضوء على أن المشكلة ليست في التقليد نفسه، بل في عجز بعض أبنائه عن استنباط طرق جديدة للتعبير من داخله. فالتجديد الحقيقي هو الذي يجذر نفسه في التربة الأصلية للشعر، لا الذي يستورد أدواته من خارجها.



أن الصراع حول التلحين في الشعر البرقاوي هو في جوهره صراع على الهوية في عصر العولمة. إنه جدل بين الخوف على التراث من الذوبان، والرغبة في تأكيد حضوره الحيوي.

فموقف مراد البرعصي من التلحين وتطويره للشتاوة يقدم نموذجاً للتعامل مع إشكالية الثابت والمتحول؛ فهو يرفض التحول الخارجي الذي يهدد الهوية (التلحين)، ويشجع في الوقت ذاته على التحول الداخلي الذي يثريها ويجدد شبابها .

هكذا يمكن القول: أن المستقبل الأمثل للشعر البرقاوي لا يكمن في انغلاق الكلاسيكيين المطلق، ولا في انفتاح المحدثين غير المنضبط، بل في قبول "تنوع" أشكال التعبير. يمكن أن تتعايش "الشتاوة" المطورة لمراد البرعصي مع القصائد الملحنة لعابد البرعصي، فلكل جمهوره وسياقه. المهم أن يبقى النص الشعري القوي، الحكمة، واللغة الأصيلة هي القلب النابض في أي شكل من أشكال الأداء، ضماناً لاستمرار هذه الموروثات الشعبية العريقة كصوت حي ينبض بهوية أمة، ويتنفس بروح العصر.

بطة وستة أجنحة

د.م. إبراهيم شعبان



لم يكن في الحسبان ولا في نيتنا أنا وزوجتي الكريمة أي نية لشراء بطة أو وزة مع وجودنا داخل سيدي كارفور.

على كل حال، كانت زيارتنا لسيدي كارفور أساسا لشراء فستان لزوجتي لحضور فرح أحد أبناء الأصدقاء المقربين.

وصلنا إلى سيدي كارفور، ونظرا لأني لا أحب ولا أتمنى أبدا اصطحاب السيدات في رحلاتهن أثناء اختيار ملابس أو حتى التسوق عادة، لما فيه من إرهاق نفسي وبدني ومالي أيضا،

فقد آثرت الجلوس في أحد المقاهي لشرب فنجان كابتشينو أو ما يشابهها من منتجات القهوة، وتركتني وحيدا بعد أن تأكدت من موقعي على خريطة جوجل محذرة إياي ألا أترك هذا الموقع لحين وصولها بدلا من ضياعي في الزحام.



حمدت الله على ذلك، وحمدته أيضا لوجود كرسي ومنضدة بدون زبائن، وتمهلت في طلب الكابتشينو الذي أصبح له عدة أسماء يصعب على الجاهل من أمثالي حفظها أو معرفة

مكوناتها، فما كان مني إلا أن أطلب من النادل أن يكون فيها بن حقيقي وطعم البن دون أي نكهات إضافية، وأضفت له جملة فريدة: "أنا عايز كابتشينو رجالي"، فضحك الشاب النادل مني وابتسم لي ابتسامة العاجزين عن الفهم تماما وانصرف.

مرت ساعة ونصف أو يكاد، وقد تم إحضار كابتشينو جيد ورشفته بمزاج المحترفين العارفين ببلاغة البن، وما هي إلا هنيهة وإذا بزوجتي تحضر مهرولة تطلب سرعة دفع الحساب ومعها كيس ضخم ليس عليه أي إشارة أنه من محل ملابس، وهي تحتضنه، ووصلنا للسيارة بمعجزة بسبب الزحام والكيس الذي بدا ثقيلا، وأدرت السيارة.

وإذا بها تقول: "اسوق بسرعة!" تحيرت من هذا الأسلوب وأفهمتها أنه يوجد رادارات وأنا لا أعرف أسوق بسرعة، خوفا من البوليس وعساكر المتحينين لأي مخالف، وثانيا وثالثا ورابعا... "أنتي عايزاني أسوق بسرعة ليه؟ هو أنت سرقتي حاجة وخايفة يبلغوا عنك؟" "لا، أبدا، لكن الذي في الكيس هذا بطة." "أني... بطة بحالها؟" "هي... إيوه بطة بجد." "سرقتيها منين؟" "لا، اشتريتها من جزارة سيدي كارفور." "والفستان هتشتريه إمتى؟" "مش مهم، ما هو أنا مافضلش معايا فلوس." "ليه، هي بكام؟" "بسبعة وشوية." "سبعة جنيه مش كتير.." "سبعة جنيه إيه يا خايب، بقول بسبعة آلاف و450 جنيها." "ليه، هي مستوردة من الكونجرس الأمريكي؟" "لا، أنت متعرفش الأسعار ونايم في العسل،



أنت عارف إحنا ما اشترِيناش بط من بعد ما افتتحنا التعريفة، قصدي التفريعة، وكل شهر الأسعار بتكون الضعف، أنا ما صدقتش وقعت عيني عليها وكانت آخر واحدة، الحمد لله، ده الجزار كمان باركلي، وقالي دي طعمها هيتن في بطنك على الأقل أربع سنين بضمان سيدي كارفور." "طيب والفستان والفرح؟"

"لا، أنا جاتلي فكرة وأنا كنت منتظرة مدير سيدي كارفور يختملي ويوقع على شهادة الضمان، أنا هروح بالبيجامة الحرير بتاعة النوم بس عايزة تتكوي، وحضرتك تروح بتي شيرت وبنطلون تدريب مع شوية مكياج لك وليا، وهنفهمهم إحنا كنا في حفل الهالوين بتاع أحفادنا الحلوين وما حبيناش نتأخر عن الفرح فجينا بالملابس بتاعة الحفلة." "فكرة 100 في المية، لكن اعمليلي شارب بقلم الحواجب عشان تبقى مبلوع."

سقت في الطريق بسرعة عالية وهي لم تزل حاضنة لكيس البطة، وكل شوية تقبل الكيس وهي في قمة السعادة، وأنا مسرور لأنني لم أجد السعادة على وجهها منذ حوالي 12 عاما بالتمام والكمال.

وصلنا بسلامة الله إلى مقرنا الرئيسي بكنج مربوط بأسرع ما أمكنتنا السيارة، وفي الطريق نبهتني زوجتي ألا أسلم ولا أرد السلام على أحد حتى لا تقع عينه على كيس البطة فتتحسد حسدا لا رجعة فيه، حيث نبهتني أن شهادة الضمان واضحة وضوح الشمس ولا يشمل الضمان الحسد أو الحقد أو أي أعمال سحر، فتنبهت لذلك الأمر وأهملت النظرات التي رشقني بها الجزار والبقال وعم أبو عصفور العزومي بتاع الفلافل، حتى وصلنا بسلام ولم يلحظ أحد زوجتي لأنها كانت مختبئة في أرضية السيارة محتضنة كيس البطة متحسبة لأي طارق مهما كان، ودخلنا الفيلا بسلام، ولأول مرة أقوم بفتح الباب لها احتراما لما تحمله.

صعدت أنا إلى الدور المسمى صومعة وقمت بتغيير ملابس الخروج مرتديا ملابس البيت، وعدت إلى الدور الأول حيث الصالون فوجدت الزوجة محتضنة كيس البطة وهي تبكي بحرارة: "مالك يا ستي، ليه البكاء وأنت معك أغلى ما نملك؟" "أنا متأسفة عليها، أول مرة أشوف بطة من 13 أو 15 سنة، فاكر من أيام أنفلونزا الطيور والحكومة والمسئولين منعوا تربية الطيور إلا في مزارع معقمة، ومن يومها ما شفناش شكل الوز، وبعدين أعدموا الخنازير في حملة إسلامية وسموها "الإسلام هو الحل" وأعدموا الخنازير وما شفناش البط بعدها." "طيب احمدي ربنا،

صعدت أنا إلى الدور المسمى صومعة وقمت بتغيير ملابس الخروج مرتديا ملابس البيت، وعدت إلى الدور الأول حيث الصالون فوجدت الزوجة محتضنة كيس البطة وهي تبكي بحرارة: "مالك يا ستي، ليه البكاء وأنت معك أغلى ما نملك؟" "أنا متأسفة عليها، أول مرة أشوف بطة من 13 أو 15 سنة، فاكر من أيام أنفلونزا الطيور والحكومة والمسئولين منعوا تربية الطيور إلا في مزارع معقمة، ومن يومها ما شفناش شكل الوز، وبعدين أعدموا الخنازير في حملة إسلامية وسموها "الإسلام هو الحل" وأعدموا الخنازير وما شفناش البط بعدها." "طيب احمدي ربنا، معاكي بطة ب 7450 جنيها مش عند حد، وشهادة ضمان كمان." "لا، البطة مش بالمبلغ ده كله، هي ب 700 جنيه بس، الباقي بقي متوزع بين ضريبة القيمة المضافة وضريبة دمغة الاستيراد وتكلفة مياه التنظيف وغسلها من الداخل والخارج وتكاليف إقامة في الثلاجة وتكلفة زيادة مشاركة في الانتخابات الأمريكية، وجزء بسيط لدعم حرب روسيا وأوكرانيا." "طيب ماشي، تعالي نحطها في القدر ونبدأ باسم الله نطبخها وندعي لها بالبركة وحسن الأداء."

"لا نطبخها على طول، دي نفسيا تتحطم، أولا هي وحشاني قوي وهاقعد أبوسها شوية، وبعدين نجيبها ونقعدها في صالون الضيوف ونشرح لها بالعقل، ونفهمها إن فيه عريس من الصعيد ذكر بط لكنه عترة، وصحيح هو مزواج ويحب الجمع بين البطات من كل نوع، ونفسه دلوقتي يتجوز واحدة بطة ومزة من اسكندرية."

وابتدأت زوجتي الحنونة في وصف دقيق لذكر البط: قصة قصيرة وأملاكه في العيد وحياته بالتفصيل، وأفهمتها أنه من الواجب علينا ندخلك الحمام وتستحمي بماء سخن مع شوية ورق لوري عشان تشيلي الرائحة منها والعريس ما يرفضش الجوازة. المهم، بعد محاولة منا وافقت تماما على مشروع الزواج. حينها أخذتني زوجتي الحنونة في جنب وأفهمتني إني ما أجيبش سيرة الطبخ، أحسن تتزعج وترفض تطيب.

وابتدأنا بتجهيز القدر الكبير للبدء في المشروع.

في الحالة التي كانت عليها زوجتي العزيزة من الانفعال والبكاء والخوف من مصير البطة، كان لا بد لي من أن أصالحها وآخذ بخاطرها، لكن خرجت رأس البطة من الكيس ونظرت إلي نظرات استنكار واستهجان، فأخذت أمسح على رأسها حتى هدأت تماما، ثم التفت إلى الزوجة الحنونة وقلت لها: "بلاش نطبخها دلوقتي عشان ما تزعلش، إحنا نحطها في البانيو عشان حالتها النفسية تهدى وهي تسبح شوية في المية، وبعدها نحطها في قدر الطبخ ونولع عليها النار واحدة واحدة." ووافقت، وأخذت البطة وأفرغتها من الكيس في البانيو، وإذا بها بستة أجنحة، ومع استغرابي لذلك قمنا بغسل البطة بشوية شامبو وتثبيت الحرارة على 37 درجة.

اتصلت بكارفور وأبلغته بالستة أجنحة، فأفادني بأنها مستوردة كده من أوكرانيا لأنهم كانوا في طريق تجهيزها كمسيرة ضد الروس. اقتنعت بهذا الرد، وجهزنا قدر الطبخ وحطينا البطة فيه بعد غسلها وتنشيفها جيدا، فسبحت كما لم تسبح من قبل، وتركناها مع تخفيف نار البوتاجاز، وذهبنا نريح شوية وقد قارب الصباح على البزوغ.

قمت فجأة بعد ساعة أو أكثر قليلا، فوجدت الزوجة في نوم عميق، هززتها بعنف فاستيقظت مرتبكة قائلة: "يلا إحنا نسينا البطة على البوتاجاز." "بطة إيه وبوتاجاز إيه؟" "يا ستي البطة اللي اشتريناها من كارفور إمبارح بسبعة آلاف جنيه وكسور." "إحنا ما رحناش كارفور ولا اشترينا بطة، هو فيه بطة بسبعة آلاف جنيه؟" "يا ستي واحطيناها في البانيو إمبارح." "بص، أنت كنت بتحلم علشان ما اشتريناش بط ولا وز من زمان، أنا هقوم وهكلم مسعد بتاع الفراخ نشتري ونطبخلك واحدة بدل ما تحلم بيها."

بعد الإفطار والقهوة ولا أزال منزعجا من الحلم، قامت حرمي بالاتصال بمسعد: "إيوه يا مسعد، شوفلنا بطة كويسة ونظفها وابعتها بعد ساعة." "حاضر يا فندم، لكن البطة سعرها ارتفع شوية." "مش مهم، يعني هتكون زيادة 50 أو 100 جنيه." "لا يا فندم، دي سعرها بقي 7000 جنيه وكسور." "بتقول إيه يا ..." "يا فندم، الحكومة أضافت على البط ده دعم للمحروقات ودعم لأوكرانيا ودعم لغزة ومشاركة في افتتاح المتحف الكبير ومشاركة في مرتبات الوزراء و... و... و..." "بلاش يا مسعد البط، بلاه البط." وأغلقت التليفون. "خلاص يا حبيبي، هانطبخ بصارة النهاردة وهانكتب بالتقيلة: بطة بست أجنحة."

همنا
مجلة كل العرب

تصريح القائد وتغيير خارطة طريق مجلس نواب مصر



شهدت مصر المرحلة الأولى للاستحقاق الانتخابي لمجلس النواب، الذي واجه بعض الخروقات التي كادت تعصف بالحياة النيابية المصرية.



سكندريات

د. عيد وحيده



فجاء تدخله ببيان أكد فيه أنه يتألم لألم الناس ويفرح لفرحهم، ويشعر بما يشعرون به. البيان أوضح عنوانًا لا يقبل التأويل: "اعملوا بما يرضي الله".

شاهدنا في المرحلة الثانية التي بدأت في 25 نوفمبر الحشود الغفيرة أمام اللجان، مشهدٌ اختفى في المرحلة الأولى... الرشاوى الانتخابية وصلت في بعض الدوائر إلى 1000 جنيه نظير الصوت الواحد! كل هذا وقائدنا يتابع، مما أدى إلى تدخله.



مشهد 11 و12 نوفمبر يذكرنا بانتخابات أحمد عز عام 2010. لكن... تدخل القائد عبد الفتاح السيسي بصفته مواطنًا مصريًا، شاهدًا ومتابعًا بنفسه من خلال التقارير ومتابعته الشخصية لأحوال الشارع المصري.

"بما يرضي الله" هو أساس عمل ونهج قائدنا، وهو الطريق المستقيم، ونتائجه دائمًا هي الأفضل للوطن والناس. فكان قرار الهيئة الوطنية للانتخابات بإلغاء نتائج الانتخابات في 19 دائرة على مستوى الجمهورية.

الجمهورية الجديدة تتجسد في قرارات الرئيس، وتنطلق نحو الريادة والحداثة بفضل الله وحكمة قائدنا القوي الأمين.



التائه

دكتورسيد شعبان

يعدو خلفي كلب أسود، ينبح ورائي فأجري منه مسرعا، تبرز أنيابه كأنها أسنان منشار، أبتعد عنه قدر طاقتي، تتبعني قطة سوداء تتقافز على ظهري الذي يسري العرق في أخدوده، تلطمني رياح الخريف، ألتمس حائطا أتوارى خلفه؛ يربض ثعبان أسود في حنية تحت حجر، أحرك قدمي فتنغرس فيه أشواك ملقاة، ينظر إلي فأر في سخرية، يعلوني غراب، يصدر شرطي الدورية صافرته، تغلق النوافذ في وقت واحد، عربة تجوب المكان تطالب الهارب أن يرتمي أرضا، أنظر حولي فلا أجد غير عواء كلاب ضالة.

أتشبث بالحائط فتسقط لبنة منه على رأسي، أتحسس جسدي فلا أجد غير سروال ممزق؛ تضرب معدتي موجة من جوع، يتصاعد صدري، تنظرني من بعيد امرأة عجوز، تتراقص أطياف أنثى في خيالي، يمزقني الاحتياج إليها، أتساءل هل هذا سراب؟

يرن في أذني صدى أغنية كنت أرددها حين كنت فتى: متى ألقاه!

مضى زمني؛ الآن كل تلك الأحلام صارت وهما، يوشك القطار أن يبلغ محطته الأخيرة؛ ترى من سيهتم بفاقد ذاكرته في بلاد تكره القمر؟ نحن لا نختار أقدارنا، بدأت هذه الجملة تلح على تفكيري كثيرا، ثمة أشياء تحدث ولا نجد لها تفسيرا، في زمن مضى كانت لنا أحلام، والآن تقزمت وصارت ظل خيال تضربه الريح.

سكنت أرصفة المحطات؛ توسدت حقائب السفر الممزقة؛ كنت أعتاش على بقايا المغادرين، أبدو كائنا متوحشا؛ يغطي جسدي ركام من غبار؛ تتحرك في وجهي عينان ذابلتان.

يوما كنت أكتب المفردات الجميلة؛ أردد في وجهها أبيات الشعر، أرسم لوحة تتراقص بها العصافير، كل هذا اختفى! نسيت المفتاح وهذا شيء متوقع في زحمة الحياة وتباين درجات الحرارة، وأخبار العالم التي تتابع من حولي، حروب وصراعات وضوضاء في كل مكان، هل أصابت الناس عدوى غريبة؟



لعنة الله على تلك التي جلست بجوارها في الحافلة فشعرها كاد يحجب عني الرؤية؛ تتعمد أن تزيحه عن عينيها؛ رغم أنها تعتاد رؤيتي كل ظهيرة؛ تسرع وتلحق بي، في البداية كنت أتجنب النظر إليها، أوصتني أمي بالحذر من هؤلاء؛ إنهن بارعات في كل شيء، تصر دائما أن تضع عطرا ناعما، غير معقول أن تكون معجبة بي؛ فأنا موظف بسيط؛ لا يكاد راتبه يفي بطعامه، يقضي بقية يومه متسكعا في شوارع المدينة التي لا تنام، في هذه المرة نزلت من الحافلة، إذا بها تزاحمني السير، تمشي بجواري، كلما انعطفت جهة تتبعني سيما لا أثر لرجل غيري بدب في الطرقات.

أي امرأة تلك؟

ما الذي يغريها بي؟

جسدي مترهل، وجهي ينتمي إلى زمن الأبيض والأسود؛ دائما كنت معجبا بهذه الرواية" الأسود يليق بك" يبدو أن جهة رقابية ترصدني، حين أمر من تحت صورة الزعيم أقدم له التحية التي لا يمكن أن يوزع الراتب الشهري في الماكينة دون أن تحصى فروض الولاء.

لكم أن تتخيلوا أنني لا أعرف في تلك المدينة مكانا غير جهة عملي؛ مؤكد أنهم يعرفون هذا!

هل تدبر لي شرا؟



التائه

فجأة عندما لمحت رجل الشرطة الذي يقف صامتا، ينظر دائما في ساعته، لا أدري بالضبط طبيعة عمله؛ أسرعت وأشارت إليه؛ انقض علي، خط بقلمه علامة في خدي؛ تراقصت تلك المرأة التي اعتادت الجلوس جواري، أسرعت بخلع معطفها البرتقالي، ظهر ثوبها الأبيض؛ باتت عروسا في أبهى زينة؛ الشيخ الجالس في عربة رجل الشرطة يكتب في أوراقه الرسمية، الساعة التي كان ينظر فيها ذلك الشرطي أعطته كل بياناتي؛ تلك المرأة لم تعد تضع عطرا ناعما؛ لا حاجة بها إلى أن تحرك شعرها، تملكتني خوف شديد، ترى هل ستقبض تلك الأنثى راتبي؟

مؤكد أن ذلك العقد يضمن لها كل هذا، هل ستجلس بجواري في حافلة النقل مرة أخرى؟

أخذت أفكر في كل شيء، الآن وجب علي أن أطرق باب تلك الشقة التي أقف أمامها، أخذت المفتاح بطريقة ما، بعد كل هذا؛ ما يزال مقعدها بجواري خاليا!



التائه

همسة
مجلة كل العرب

رواية

وادي ماجد

الجزء الثامن



سمع صرخات خلفه، لكنه كان متيقناً أن المصابين من فرسانه لا يصيحون مع الألم. اشتد غضب الفرسان، وبالكاد حال دون اندفاعهم بتهور للثأر لقتلاهم. أما "سنو" فقد ابتلع مرارة تلاعب هؤلاء به وبجنوده الذين رآهم يتساقطون أمام طلقات صُوِّبَت بإتقان إلى أجسادهم من جانبي المعسكر.

صاح "قناش" في فرسانه، وصاح القادة خلفه.

قال "سنقر": الاندفاع لن يحقق شيئاً، وعدد القتلى منهم يفوق عدد شهدائنا عشرات المرات.

قال الضابط الأسمر لضباطه: الساعات القليلة القادمة ستحسم المعركة، لا شك في ذلك. لم يعد لديه وسيلة إلا تحريك المعدات. كونوا جاهزين، لقد جاء دوركم. أما القبائل فقد أبلت بلاءً فاق كل التوقعات.

· كان يجب أن نجلب معنا ثلاثة بدلاً من واحد، سيدي القائد.

· أنت تعلم أنه ليس بإمكاننا نقلُ مثل هذا العدد.

· فعلاً سيدي.

· الدقة كافية لتعويض العدد.



الأديب . عبد الله أبو زوير

مجلة كل العرب

لم يفت "سنو" أنه مراقب من جهة أخرى غير تلك التي تهاجم منها القبائل. كأنه كان يسمع الحوار الدائر بين الضابط وقائده. هز "عشيبي" رأسه بعد سكون، رفع رأسه بحذر، لكنه عاد بها إلى الأسفل بسرعة جعلت أنفه يصطدم بصخور الوادي بعد أن طارت عمامته الرثة بعيداً إثر طلقة سُدِّدَت له من مكان ما من داخل المَعسكر. سمع وقع أقدام تقترب بحذر، وتأكد أن الجندي الذي يقترب منه سيكون جاهزاً لتسديد طلقة أخرى على رأسه العاري، فتدحرج إلى الأسفل حيث ثنايا تضاريس الوادي. توقف وسط شجيرات الشوك التي نخرت جلده بعد أن خرقت ثيابه، وتألم من الكدمات التي أصابته من الصخور التي تدحرج فوقها بجَنْبه، وشاهد الثعلب وهو يحشو بندقيته داخل بيته بعد أن أطلق عياراً على الجندي كي يغطي انسحاب الثعبان إلى أسفل.

· سيدي، اسمح لي بمطاردة ذلك الرجل.

لم يفت "سنو" أنه مراقب من جهة أخرى غير تلك التي تهاجم منها القبائل. كأنه كان يسمع الحوار الدائر بين الضابط وقائده. هز "عشيبي" رأسه بعد سكون، رفع رأسه بحذر، لكنه عاد بها إلى الأسفل بسرعة جعلت أنفه يصطدم بصخور الوادي بعد أن طارت عمامته الرثة بعيداً إثر طلقة سُدِّدَت له من مكان ما من داخل المَعسكر. سمع وقع أقدام تقترب بحذر، وتأكد أن الجندي الذي يقترب منه سيكون جاهزاً لتسديد طلقة أخرى على رأسه العاري، فتدحرج إلى الأسفل حيث ثنايا تضاريس الوادي. توقف وسط شجيرات الشوك التي نخرت جلده بعد أن خرقت ثيابه، وتألم من الكدمات التي أصابته من الصخور التي تدحرج فوقها بجَنْبه، وشاهد الثعلب وهو يحشو بندقيته داخل بيته بعد أن أطلق عياراً على الجندي كي يغطي انسحاب الثعبان إلى أسفل.

· سيدي، اسمح لي بمطاردة ذلك الرجل.

· لا أحد يطارد رجلاً يندفع نحوه يا "كولونيل". انتظر، لقد طوقونا هؤلاء الجرذان. إنها خطة يا "كولونيل"، خطة أُعِدَّت بعقل عسكري، ونحن الآن نحارب قائداً بفطرته، ونحارب أيضاً قائداً عسكرياً. إنه ينتظر خروجنا الآن.

· لم أفهم شيئاً، سيدي القائد؟

· ليس الآن يا "كولونيل"، لكننا في خطر بالغ.

حدق نائب "سنو" جيداً بعد أن ضاق فمه، بينما رفع "سنو" منظاره فوق أنفه يراقب بكراهية خط الهلال البغيض الذي اعتاد على مشاهدته قبل كل هجوم منذ فجر ذلك اليوم. شاهد الفرسان وكلّ منهم منشغل بنفسه أو بحديث مع من بجانبه، والجياد تتصبب عرقاً وتلهث تحتهم، لكن نظراتهم ناحية المعسكر كانت حاقدة. كان واضحاً لـ"سنو" أن "قناش" ليس في عجلة هذه المرة لمواصلة الكرّ، رغم أن فرسه كانت تتحرك تحته بعصبية. لعلها راحة لالتقاط الأنفاس.

ساد السكون إلا من آهات الجرحى ونعيق الغربان المتلهفة التي تحوم بكثرة رغم الرياح الباردة فوق الوادي لكي تهاجم جثث القتلى والجياد الميتة، لكن تبادل الطلقات المتقطع بين فرسان الطوق والجنود كان كافياً لأن يدفع بها بعيداً مرةً أخرى.

حدق "سنو" بمنظاره عبر السهول البعيدة، وشاهد طابور الإمدادات، وظن أن هؤلاء البدو يريدون تطويق المعسكر بالخيام والنجوع. كانت النساء تدفع بالحمير عبر السهول صوب المعسكر، وشاهد امرأة تقذف الأطفال الذين يهرولون خلف الحمير بأحجار، بينما يتفاداها الأطفال برشاقة، وأحياناً يتقافزون إلى أعلى كقردة. وشاهد مجموعة أخرى من الأطفال يرشقون الكلاب بالحجارة، وتأكد له أن هؤلاء الفرسان قد مروا بحياة صعبة في طفولتهم جعلت قلوبهم قاسيةً مثل صخور أرضهم. تباعدت الحمير عن الأطفال بسبب تلك المرأة التي لا تهدأ وهي تلتقط الأحجار من على الأرض بكلتا يديها وترجمهم بها لتمنع تقدمهم. يبدو أن الأطفال اكتفوا بهذا القدر

هلا مجلة كل العرب

من الاندفاع خلف الحمير بعد سماع البارود المتقطع، ووقفوا من بعيد يحدقون ناحية الحمير بعيون جراء.

اقترب طابور الإمدادات، وصرخ الوادي من اختلاط نهيق الحمير ببعضه بعد أن عجز عن ترديد صداه. توقفت الحمير بعيداً عن أرض المعركة. ارتقت النساء شفة الوادي وشاهدن طابور الفرسان، حيث لم يكن يتخذ هذه المرة شكل هلال، كان كثير االلتواء كأفعى تهتز من تراقص الجياد التي لا تهدأ. اخترن تلةً صغيرة ليشاهدن ما يجرى خلفها، وطللن برؤوسهن، فشاهدن جنود العدو صرعى، فأطلقن الزغاريد بألسنتهن الحمراء التي تحولت إلى ما يشبه مطارق أجراس المنبهات، فحملتها الرياح إلى آذان الخيل التي اعتادت على الانطلاق السريع بعد سماعها لتلك الأصوات.

كشرت العجوز التي كانت تطلق زغاريد أشبه ب(ولولة) من لثتها الخالية بعد أن شاهدت أحد فرسان القبائل طريحاً أسفل الوادي، ضربت بيدها على صدرها بانزعاج، وأسرعت تهبط الوادي بسرعة السلحفاة. اتبعتها امرأة أخرى وكادت أن تقع لعدة مرات. اقتربت تحدق ويدها على صدرها، لم تكن تعلم أن موتها يكمن في مساعدة هذا الطريح الذي يغيب عن الوعي ويحتضر. نادت بصوت عال حين رأت الثعلب، فتقافز إليها مسرعاً.

· ميت؟ سأل الثعلب.
· إنه يتنفس لكنه فقد الكثير من دمه.

كان الدم حوله يشكل بركة صغيرة تلمع مع أشعة شمس الظهيرة بين الصخور. حملوه إلى كهف بجوار حصن الثعلب، كان الثعلب يعرفه معرفة جيدة، فقد نام فيه ليلة ليلاء قبل أن يقتحم بيت الثعلب الذي تسبب في قتله. صعدوا به إلى باب الكهف الذي يعلو قاع الوادي بمسافة ستة خطوات، حيث لم يكن انحدار الوادي عمودياً. بالكاد استطاع الثعلب رفعه بمساعدة المرأة التي ترافق العجوز بينما الأخرى

هنا
مجلة كل العرب

تمسك بإحدى رجليه. قال الثعلب عندما بلغ الباب: سيكون الدخول إلى قاع الكهف هبوطاً إلى أسفل.

وتأفف من العرق الذي اكتسى وجهه. شاهدت ما يشبه بطقوس مراسم الدفن عند الفراعنة لذلك البدوي.

عاد الثعلب إلى بيته وخرجت المرأة، بينما العجوز اختفت داخل الكهف. عادت المرأة بالبندقية التي كانت ملقاة بجوار بركة الدماء وناولتها للعجوز. مرَّ قليل من الوقت، وعادت المرأة للكهف مرة أخرى وهي تحمل في يدها صُرَّة لا أدري ما بها. لعل الكاهنة العجوز طلبت منها ما تحتاج إليه لبدء مراسم تحنيط الجثة. مزقت ملابسه المبتلة وكشفت عن صدره ومسحت الدم من فوق جرحه بوشاح كانت تربطه على رأسها. كانت الإصابة قد خرقت صدره بعد أن نفذت من كتفه. رفعت رأسه بمساعدة المرأة ووضعت الوشاح تحته، وأمسكت طرفي الوشاح بيدها بعد أن أعادت رأسه على الأرض، ربطت طرفي الوشاح على جرحه، ومالت المرأة حتى غطى شعرها الأسودُ وجهَه. ظننتُ أنها تقبله، لكن ظني لم يكن في محله، فقد كانت تربط آخر عقدة في الرباط بأسنانها. صبت العجوز قليلاً من الماء في كفها الأيمن من قربة، ومسحت وجهه بالماء، فتحول التراب العالق على خده إلى طين. كررت ذلك عدة مرات، ثم فتحت فمه وعادت لتقطير الماء إلى حلقه بيدها المتسخة بالدم والطين معاً. صعد صدره إلى أعلى فجأة وهز رأسه بعد أن تملكه السعال، لكنه عجز عن إخراج كحة. يبدو أنه يريد التقيؤ أيضاً، لكنه بدلاً من ذلك تسارعت أنفاسه بارتفاع صدره وهبوطه، وكأنه في سباق عدو مع الريح، وربما مع الأيام.

· لا شك أنه بعد قليل سيفارق الحياة.

· اخرس يا لعين.

· "سنو" قتل جدك يا "عبدالله"، أأنت حزين؟ هاها، هاها!

· اخرس يا لعين.

- هذه ليست إجابة.
- جدي شهيد يا لعين.
- ماذا قلت؟! (بعد أن توقف عن الرقص) قلت شهيد!؟

ملعون جدك وملعون أنت أيضاً.

- ما يبكيك يا لعين؟
- فلتَ جدك مني، أنا في النار وهذا البدوي الجلف في الجنة!؟
- هل أنت حزين؟
- دعني وشأني.
- هذه ليست إجابة.

راقب من خلف منظاره مراسم الدفن الفرعوني، وتأكد له أن الوطن المصري له شرايين تتصل بكل أطرافه من تحت أرضه كعروق جسد واحد، وأن اختلاف الملبس لا يعني بأية حال اختلاف أبناء الوطن الواحد. ولعل الصحراء بشمسها الحارقة وبزمهرير شتائها هما اللذان فرضا شكل كل ملبس على هؤلاء. ارتدعت فرائصه بعد أن جال بناظريه

إلى تلك التلة وإلى الضباط الذين لم يأت دورهم بعد، وتأكد له أن ثمة أفخاخَاً أخرى قد نُصبت لكن لم يحن دورُها بعد.

كانت رياح الشتاء قد حملت له أصواتاً من خلف التلة أربكته، فلم يكن يغيب عن إنجليزي أبداً اختلاف وتميُّز صهيل الخيل عن شحيج البغال. ولم يكن يغيب أيضاً عن رجل مقاتل مثله ما يعنيه جلب البغال إلى أرض المعركة سوى لجرّها معدات عسكرية ثقيلة ومدمرة. التفت إلى البغلين اللذين سكنا بعد صراع مع الموت جراء ذلك الهجوم الخاطف لهؤلاء الجرذان. كانت الشمس قد مالت إلى ناحية الغرب حتى صار ظله مساوياً لنصف طوله بعد أن تحرك من تحته إلى ناحية الشرق. كان الوقت كافياً ليستشير قادة المعسكر بعد أن شكَّ في قدرته على اتخاذ القرارات منفرداً. هم أيضاً كانوا غاضبين من حالة الضعف التي طرأت عليه منذ فجر اليوم، بالرغم من علمهم بقوة عزيمته. "سنو" أيضاً كان مشفقاً عليهم، فقد كتم سراً عنهم خشية أن يُصابوا

بإحباط وهم يدافعون عن حياتهم بشراسة، لكن لم يعد الكتمان يفيد بعد علمه بما جلبت الحمير على ظهورها من أطعمة لهؤلاء الجرذان، مما يعني إصرارهم على البقاء. ومع غياب الشمس سيكون كل سطح الوادي تحت أقدامهم. رمق من خلف العدسات المكبرة ذلك الوجه القاسي القبيح يهز رأسه لقبيح آخر بجواره.

كانت النساء خلف الوادي يدفعن بقِرَب مصنوعة من جلد الماعز إلى الفرسانٍ مع قطع من عجينة التمر وخبز، وكل فارس من هؤلاء الذين تجاوز عددهم الثلاثين كان يحصل على قربة وقدح وتمر وخبز ليمر بها على الآخرين. فكان يملأ القدح باللبن ويمده إلى هؤلاء المصطفين في الميدان. كان الواحد منهم يرتشف اللبن بشفاه جافة وبصوت مسموع، وكانت الأعصاب مشدودة. لم يتناولوا طعاماً منذ فجر ذلك اليوم، ورغم ذلك لم تكن لديهم شراهة الجوع. جاء دور الثعلب الذي يجيد مراوغة مراقبيه لإيصال الإمدادات إلى بطون فرسان الطوق، وساعده الثعبان "عشيبي" في إتمام المهمة على أكمل وجه.

بعينين متعبتين راقب "بل" حَـدَئِ الطباع الذين لا يهذّبون لحاهم ولاَ شواربهم من بعيد وهم يتبادلون أقداحاً، وتمنى لو كان له نصيب معهم في النبيذ الذي يمد أجسادهم بالدفء في صقيع هذا اليوم بمصائبه التي رافقت إشراقة شمسه الصفراء. حدَّق حينما رآهم أول مرة من قريب وهم يقتحمون المعسكر، شعر وكأنه قد سافر قروناً للخلف عبر الزمن من وجوههم القاسية.

كانت همهمات القادة خلفه تصل لمسامعه، وآثر عدم الالتفات خشية أن تصل إلى رأسه رصاصة مع الهواء وهو لا يدري من أين أتت. سمع خلفه الطاووس وقد تخلى عن زهوه بعد أن وصل لمسامعه اعتراض النائب على طريقة إدارة المعركة بصوت حاد. قطَع متابعته لحديث القادة رصاصة

طَنَّت في الصخور، مما جعله يدفع برأسه إلى الأرض فاصطدم أنفه بالصخور.

· أنت مكلف بمطاردتهم يا "كولونيل دانيال"، لكن ليس قبل أن ترى خلف هذه العدسات ما يجعلني أتريث في إصدار أمر كهذا.

رفع حاجبيه بعد أن اتسعت عيناه، وسال العرق من جبينه، وساد الصمت والاضطراب معاً. أعاد المنظار إلى القائد دون أن ينبس ببنت شفة، ورفعه إلى عينيه. وشاهد "سنو" لأول مرة ضباط القاهرة يقفون ....





أ.د. إبراهيم العايش

لبلاد فيها عمدة

في ثلاثينيات القرن الماضي (1930)، هاجر إلى مصر العديد من القبائل الليبية بسبب الاحتلال الإيطالي لليبيا، واستوطنوا مناطق عديدة في الدولة المصرية من البحيرة شمالاً وحتى المنيا وأسيوط جنوباً.



وكما هو معتاد، كان معظم الليبيين رعاة للإبل، فاستقروا في النجوع والقرى الموازية للصحراء أو على أطراف المدن؛ حفاظًا على عاداتهم وتقاليدهم، ولعدم معرفتهم بأمور الزراعة وعمل المدينة والحرف اليدوية. وهكذا اشتهروا برعي الإبل والأغنام في تلك المناطق.

وفي قصتنا اليوم - وهي حكاية تحمل حكمة وموعظة وعبرة لأصحاب العقول ليحسنوا التصرف والتعايش مع أهل البلاد - كان هناك رجلين من قبيلة القذاذفة، وهما معروفان بالاسم والشخص. كان لديهما عدد من الإبل يرعيانها في المناطق المجاورة لمكان إقامتهما في نجع بصحراء المنيا. تعارفا مع رجل من أهل القرى المجاورة، وبدأت بينهما علاقة تجارة وبيع، حيث اشترى منهما ذلك الرجل ناقة كان ثمنها آنذاك خمسة جنيهات وفقًا للرواية التي حكاها لنا. وأعطاهما موعدًا لسداد الثمن، ولكن حين حان الموعد لم يدفع الرجل ثمن الناقة. انتظر الرجلان فترة على أمل أن يأتيهم المشتري بحقهم، ولكن طال الانتظار دون أن يأتي. هنا بدأت الوساوس والأفكار السيئة تجول في رؤوسهما، فظنا أن الرجل قد "ضحك عليهما" وأكل حقهما، فأضمروا له الشر واتفقا على أن يبحثا عنه ويأخذا حقهما ولو بالقوة.

وكعادتهما، قاما في الصباح الباكر تاركين إبلهما في الوادي، وقاصدين تلك القرية للبحث عن الرجل. وهما في طريقهما، وفي لحظة تفكير، قال أحدهما لصاحبه: "اسمع، أيقولوا لبلاد هذي فيها عمده" (أي يقال إن هذه البلاد فيها عمدة)، وهو المسؤول عن حل المشاكل. "قبل لا ندوروا الراجل ونديروا معاه مشكلة، انبلغوا العمده. بيش ما يلوم علينا حد بعدين." فقال له صاحبه: "رأي كويس، هي نمشوا للعمده."

فنزلا الرجلان بالقرية وبدآ يسألان عن بيت العمدة، فأشار لهما بعض المارة باتجاه "دوار العمده". فذهبا إلى الدوار (البيت)، فإذا ببيت عالٍ يقف على بابه عدد من الخفراء يحملون البنادق الحكومية. عند وصولهما، سألهما أحد الخفراء: "تفضلوا، ماذا تريدون يا شيوخ العرب؟" وجاء السؤال من وصفهما ولباسهما المخالف لأهل القرية، فهم يرتدون "الجُرْد" أو ما يسمى هناك "العباءة"، وهو لباس البدو من أهل الغرب.

فقالا للغفير: "نحن نريد العمده في موضوع." فأجابهما: "تفضلوا ادخلوا الديوان، والعمده توّا ييجيكم." وكان الوقت باكرًا والعمدة لا يزال نائمًا. فدخلا الديوان وأكرمهما الغفير بالإفطار والشاي، وظلا ينتظران حتى يستيقظ العمدة. وبعد فترة ليست بقصيرة، جاء العمدة فوجد رجلين ذوي لحى طويلة ولباس مخالف لأهل القرية، فظن أنهما من الدرويش أو المرابطين الذين يجولون النجوع والقرى. فنادى على أحد الخفراء يسأله: "هل أكرمتم الضيوف وقمتم بواجب الإفطار؟" فقال له: "نعم يا حضرة العمده."



لبلاد فيها عمدة



Figure 1
A group of tourists riding camels and being led by a local guide in the desert of Morocco.

وهنا وقف الحاج علي من مجلسه وقال: "بارك الله فيك يا عمده، لكن إحنا جايين في موضوع وعندنا مشكله مع واحد من أهل قريتك. وقالولنا: لبلاد هذي فيها عمده، هو المسؤول عن حل مشاكلها. والا كان هذا دورنا، صاحبنا وعرفنا كيف نخلصوا في حقنا."

وقف الحاج عبدالله وقال: "يا عمده، الراجل اللي من قريتك اسمه فلان، واشتري منا ناقة من فترة وعند اليوم ما خلصنا في حقها، وما عاد شفناه، وموعده هَلّب من فترة. وإحنا هانّا بلغناك، يا إتحل الموضوع يا بعدين ما تلوم علينا."

فابتسم العمدة وقال مازحًا: "بالشوية يا عرب الغرب، أي مشكلة وليها حل. إنتو خربتم بلادكم بالمشاكل وما تجوش تخربوا بلادنا. مشكلتكم محلولة مهما كانت."

وهنا أنهى العمدة الحديث بقوله: "إن شاء الله حقكم يوصلكم لعند مكانكم." فنهض الرجلان واستأذنا بالرحيل.

وما إن وصلا إلى إبلهما في الوادي، حتى لحق بهما الرجل وهو يلهث من سرعة مجيئه، حاملاً النقود بيده، وقال: "السلام عليكم، معقولة يا حاج علي ويا عمي عبدالله تمشوا تشكوني للعمده! أنا كان عندي ظرف وتأخرت عليكم فعلاً، ولكن شكوتكم للعمده كانت راح تسجني وتبهدلني. وأول ما ناداني العمده جيت جري وراكم. بيش أوصلكم حقكم وإن شاء الله غير العمده ما يبهدلني."

فقالا له الحجاج: "سامحناك، انت طولت علينا وما خبرتنا بظرفك، وإحنا سألنا قالولنا: لبلاد فيها عمده هو المسؤول، وإحنا مشيناله بيش ما نديروا معاك مشكلة.

فقال لهم: "هاذي فلوسكم، وسامحوني وإن شاء الله معرفة خير."

نظر الرجلان إلى بعضهما البعض، وقال أحدهما للآخر: "مُوش قتلك: لبلاد هذي فيها عمده!"

العدد ٣١ - يناير ٢٠٢٦ - السنة الثالثة

همتنا
مجلة كل العرب

لماذا نحن مختلفان ؟



الشاعر م . محمود الفحام

قصيدة شعرية

لماذا نحن مختلفان ؟!
الا تدرينَ ان اللهَ قد
اودع خفايا الكونِ
والمكنون
ثنايا كافِهِ والنون
فأمر الله في الأشياءِ
كُنْ فيكون
هما حرفان
بحقهما...بسرهما
اجيبيني
لماذا نحن مختلفان ؟!
عواطفنا غدت هشّه
بعير حياتنا مُجهَد
اتقصم ظهرَهُ قشه ؟!
وجُرحُ كان ملتئماً
لماذا ننتوي نبشه ؟!
إذا ماقلتُ هيا نرتضي
العقلا
ونقبلُ حُكمَه فينا
لعل العقلَ يُهدينا
للغز حياتنا حلا
اري رفضاً حديديا
يسربل كل مافيكِ
أُرونقُ صدقَ افعالي
لأُثنيكِ
أمنطق كل اقوالي
لأرضيكِ
عنادكِ صار يُشقيكِ
ولا تُبدين اسبابا
وننسي اننا كنا
وياأسفاه احبابا
إذانا اليومَ نسَّاءل
لماذا نحن مختلفان
لأنّا قد قضينا العمرَ
في جدَلٍ بلا معني
وطال الأمرُ ازمانا
تمردنا علي النٌّعْمَي
واعلناه عصيانا
ونلفُظ من فمٍ ممْروزَ
في صلَفٍ حَكاياانا
فتُشكلنا قضايانا
ولانسكت
بسفسطةٍ هُلاميه
وافكارِ ضبابيه
نجادل دون ان نسمع
ولا جدوي
كلانا ظن في صَلَفٍ
بأن حصانَه الأعرج
امير الساحِ
لا يُسبَق
لقد كبَوَا جوادانا
ولا ندري بحق الله
من فيهم هو الأسبق
ومن فينا هو الأصدق
ونقضي العمرَ نسَّاءل
لماذا نحن مختلفان ؟!
إذا ماقلتُ ان الأرضَ
كُرَويه
تدور وحول محورها
وحول الشمس
في نسقٍ بمعجزةٍ
إلهيه
سخرتِ وقلتِ في صلَفٍ

همهمنا
مجلة كل العرب



مقولتكم خياليه
فإن الأرضَ لاكرةٌ ولا
ملعب
ومن يفتي بغير العلم
قد اذنب
وخُذ مني- إذا ماشئت-
اقوالاً يقينيه
فإن الأرضَ قد كانت
ومازالت مسطّحةً
بعلمٍ
لا بفرضيه
معاذ الله ياهذي
اكل ثوابتٍ امست
بدرب عنادكم تُخرق ؟!
احتي هذه ايضا
نناقشها
وصبر قلوبنا يُحرَق؟!
وفي بَلَهٍ نسائل بعضنا
دوماً
لماذا نحن مختلفان؟!
لأنّا هكذا عشنا
نلوك المِلحَ في صمتٍ
ونجعلُ دائماً غدَنَا
اسيرَ الشك والوسواس
كان قلوبنا امست بلا
إحساس
ونوقن ان سيطوينا
دُجي الأرماس
تُرانا يومها نسأل
لماذا نحن مختلفان ؟!
مضت ايامنا ثكلي
رداء الحب عانقنا
فمزقناه
وعمرٌ من ثنايا العين
منسحبٌ
و ما عشناه
كيوبيدُ اتي يوما
يباركنا فحيرناه
وعذبناه حتي كاد ان
يبكي
وقلنا ياأمير الحب
لاتسأل
لمذا نحن مختلفان
كأنا يوم مولدنا
ركبنا زورقاً مقلوبَ
خاصمه سنا الشطآن
تُري كانت لفائفنا من
الأحزان
وفي زمنٍ اتي يحبو بلا
عنوان
تلاقينا
وقلنا الحب مرسانا
سيُنسينا شتات
القهروالحرمان
تفاءلنا
ولكنا سريعا
ماتشاءمنا
وعدنا للذي قد كان
وعاد السُّؤلُ يشقينا
لماذا نحن مختلفان ؟!
أخيراً
جاءنا ردٌّ
من اللاشيئ
يُوقظنا من الهذيان
يقول الرد في صمتِ
إدا ماحانت الساعه
سيقضي بيننا الرحمن
فأولنا له الجنه
وثانينا
ستأكلُ قلبَهُ
قلبه النيران
هنالك
نحن متفقان



لماذا نحن مختلفان ؟

همهمة
مجلة كل العرب

سنة الهجّة

شاهدة على فظائع الاستعمار بحق أبناء البادية في حرب العلمين



الأثري عبدالله موسى لعشيبي

همتنا
مجلة كل العرب

على طول الحدود المصرية الليبية، ومن عمق طرابلس وصولاً إلى العلمين، عانى المصريون والليبيون طويلاً خلال الحرب العالمية الثانية بين قوات الحلفاء والمحور. عاشوا الشتات والتهجير وتضوروا جوعًا، ونزلت بهم المحن قتلاً وأسرًا ونهبًا، حيث أصبحت خيرات البلدين طُعْمَةً في فم الاستعمار من كل فج عميق، إنجليزيًا كان أم إيطاليًا أو ألمانيًا.

تأريخ تلك الحقبة يستدعي منا أن نعود بآلة الزمن إلى الوراء كثيرًا، إلى فتح برقة الذي تم صلحًا على يد عمرو بن العاص في عام 22 هـ/ 643 م ، وذلك بعد فتحه لمصر، حيث سار عمرو بن العاص بجيشه باتجاه برقة ووجد أنها لم تكن منطقة صحراوية، بل كانت مناطق مأهولة بالعمران والزرع، ولم يواجه مقاومة كبيرة، حيث صالح أهلها على أن يؤدوا الجزية،







وعُرفت تلك الفترة بين عامي 1940 و1945م بـ«سنوات الهَجَّة»، وقد يجمعها أهل مطروح فيقولون «سنة الهَجَّة»؛ لأن سكان تلك المناطق الصحراوية المتاخمة للشريط الساحلي في مصر،

وانضم إليه بعض قبائل البربر. وبذلك أصبحت برقة جزءًا من الدولة الإسلامية، لتكون ولاية برقة تحت ولاية الولاة في مصر، وأحيانًا قد تكون منفصلة عنها مع تغير الدول الإسلامية، انتهاءً بالدولة العثمانية التي تخلت عن

برقة في جزئيها الشرقي والغربي. فقد تخلت عن الجانب الشرقي بعد الاحتلال الإنجليزي لمصر عام 1882م. ثم تخلت عن الجزء الغربي لبرقة بعد دخول الإيطاليين ليبيا عام 1912م. وبذلك انتقلت السلطة الفعلية في برقة إلى المحتل الإنجليزي والمحتل الإيطالي. حيث شاءت الأقدار أن يتقاسما النفوذ بينهما ضمن اتفاقية توزيع كبرى لممتلكات الخلافة



العثمانية بين الدول الأوروبية الاستعمارية، فكان قدر برقة أن تُوزَّع بين الإنجليز والإيطاليين.

هنا سأتطرق إلى معاناة سكان الحدود المصرية الليبية، وهي حدود صنعها المستعمر لتمزيق أهل الصحراء. فقد تصالح المستعمرون أولاً عند رسم الحدود، ثم ما لبثوا أن تعاركوا وتحاربوا وراحوا يوسعون أهل البادية من السكان الأصليين قتلاً وأسرًا وسلبًا ونهبًا.

تركيا، أو الدولة العثمانية، التي حكمت مصر وبرقة اسميًا بين عامي 1835 إلى 1912م، حتى توسعات محمد علي باشا الذي حاصر الدولة العثمانية ذاتها، انتهاءً بمعاهدة لندن عام 1841م، أصدرت فرمانًا من الباب العالي يوم 13 فبراير عام 1841م بتنصيب محمد علي باشا حاكمًا لمصر ، على أن تبقى مصر تحت السيادة العثمانية. وكان ذلك الفرمان مصحوبًا بأول خارطة توضح الحدود الإدارية لمصر.

في عام 1882م، وقعت مصر تحت الاحتلال البريطاني، ثم ما لبثت بريطانيا أن أعلنت الحماية عليها في 18 ديسمبر 1914م، إلى أن تم إعلان استقلال مصر بموجب تصريح 28 فبراير 1922م.



همتنا
مجلة كل العرب

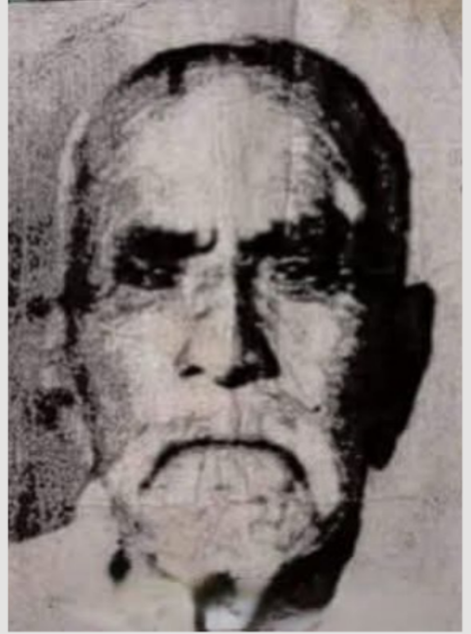
العالمية الثانية وتحول الإنجليز والإيطاليين إلى أعداء، حرص كل من الجانبين على تحييد سكان المنطقة الأصليين من سكان مصر وليبيا ليتفرغا للنزاع الدولي بينهما، ومحاولة كل منهما أخذ نصيب الآخر من مستعمرات شمال إفريقيا. فازداد الإنجليز في إخلاء الصحراء الغربية من سكانها وترحيلهم ترحيلاً قسريًا عانى فيه أهل البادية أشد المعاناة. حيث كان الترحيل غير منظم،





وهذه البعثة المشتركة نشرت تقريرها النهائي في أبريل 1927م، والذي نُشر في الجريدة الرسمية للمملكة المصرية.التزمت الحكومة المصرية بالاتفاقية التي استغرقت 13 عامًا من يوم 6 ديسمبر 1925م إلى أن تم تنصيب أعمدة وعلامات الحدود النهائية والثابتة يوم 3 مايو عام 1938م، وما تخللها من لجان ومفوضيات ميدانية مشتركة بين الدولة المصرية وليبيا الإيطالية مباشرة وبدون تدخل بريطاني. ومع اقتراب الحرب

فتُرك لكل قبيلة ونجع تدبير أمر أفرادها من خلال وسائل نقل بدائية، اعتمدت على الحيوانات كالإبل والخيل والحمير، وحملوا متاعهم وأولادهم عليها، وساروا بهم لمئات الكيلومترات، تاركين وراءهم نجوعهم وأراضيهم. فيما قامت قوات الاحتلال بهدم بيوتهم وردم آبارهم وتركوهم يرحلون عبر الصحراء مشيًا على الأقدام؛ مما خلف منهم آلاف الضحايا من الأطفال والمرضى والعجائز الذين لقوا حتفهم أثناء التهجير، إما من شدة التعب أو من الجوع الذي كان يفتك بهم. ولم يخفف من وطأته إلا لجوء بعض الأهالي إلى أكل الأسودين (التمر والماء) وصيد جرذان وجرابيع الصحراء، فضلاً عن مخلفات معسكرات الاحتلال البريطاني على طول الساحل، يقتاتون من بقايا طعامهم؛ مما شكَّل قصصًا ومآسي لا تزال تروى، مر بها أبناء البادية أثناء الهَجَّة. ومنها قصة طفل صغير لم تقدر أخته على حمله فتركته وحيدًا يلقي مصيره في الصحراء بعد عجزها عن حمله والسير به، ولما خشيت من لحاقه بها وضعت في حجره حجرًا لكي لا يلحقها، ولكن بعد فترة حن قلبها عليه وعادت إليه، فكتب الله له الحياة، وعاش هذا الطفل حتى بلغ الثمانين من عمره ومات مؤخرًا.ومن أبطال الهَجَّة أيضًا المرحوم الحاج مجيد سليمان الفرجاني بو خذرة العروي، أحد عواقل قبيلة العراوة ومنطقة حنيش في القرن التاسع عشر، وكان من كبار تجار الأغنام وسيد كحيلة (صاحب إبل) في زمانه. وُلد عام 1855م بمنطقة الكراميس جنوب شرقي القصابة - مدينة مرسى مطروح بالقرب من سيدي حنيش، ووافق يوم ولادته وفاة القيصر "نيقولا الأول" إمبراطور روسيا، وكذلك وفاة "خسرو محمد باشا" الصدر الأعظم للدولة العثمانية، وحصار سيفاستوبول عاصمة شبه جزيرة القرم. وتوفي عام 1972م بمحافظة مطروح عن عمر ناهز 117 عاماً. وقد ترك هذا الرجل ماله وأرضه وارتحل قسرًا في الحرب العالمية الثانية "سنة الهَجَّة" عام 1940م من مرسى مطروح إلى البحيرة مشيًا على الأقدام مرورًا بالعامرية، وهكذا حتى استقر به المقام في منطقة الذراع البحري.ومن أبطال سنوات الهَجَّة أيضًا المرحوم الحاج مجيد بو معفس العشيبي من مواليد عام ١٨٨٥م وتوفي عام 1990م، حيث رحل صغيرًا من قرية القصر إلى مدينة برج العرب؛ وذلك أثناء الحرب العالمية الأولى عام 1915م، وعمل بحفر الخنادق مع القوات الإنجليزية لمنع عبور الدبابات الإيطالية سنة 1914م.



وفي الوقت نفسه تم ضرب موقع الحفر من الطائرات الإيطالية واستشهد بعض العمال معه. وانتقل إلى منطقة كينج مريوط، حيث عمل في إسطبل للخيول تابع للقوات الإنجليزية، واكتسب اللغة الإنجليزية بمهارة فأعجبت به ضابطة من الجيش الإنجليزي للغته وذكائه، وعرضوا عليه العمل معها في مجال الغزل والنسيج. وبدأ مشروعه في صناعة الأنسجة والكليم والغطاء البدوي والحويا والنويري (أنواع من المنسوجات البدوية)،

مجيد بو معفس
أحد رجال مطروح الذين حضروا سنة الهَجَّة.

ثم عرضوا عليه السفر إلى بلاد الشام لعرض المنسوجات فوافق - رحمة الله عليه -، وتم السفر عبر القطار إلى فلسطين التي كانت تحت الاحتلال البريطاني عبر غزة ووصلوا إلى القدس، وأقام بالمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ثلاثة أيام، وبعدها قرر الرجوع إلى مصر.

وازدادت وتيرة التهجير في الفترة بين عامي 1939 و1945م، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، خُيِّر أهل البادية بين العودة إلى نجوعهم أو البقاء في مناطقهم الجديدة. لكن الغالبية العظمى منهم عادت بعد انتهاء الحرب، ومنهم من فضل البقاء في البحيرة ولم يرجع. ولكن العائدون تفاجؤوا بآثار الدمار الذي خلفته الحرب داخل المدن والقرى والنجوع التي غادروها إلى رأس الترعة بمحافظة البحيرة؛ حفاظًا على أرواحهم من هذا الدمار، فأطلق أهالي مطروح على هذه الهجرة وسنوات الحرب تلك «سنة الهَجَّة». بدوره يقول المؤرخ د. ج. كول: "شكلت الحرب الكونية الثانية كارثة على الساحل الغربي لمصر وسكانه، فقد حاربت الجيوش الإيطالية والألمانية والبريطانية على هذه الأرض، أمر الإنجليز بمغادرة العرب لهذه المنطقة (من السلوم إلى العلمين) وأجبروا على الرحيل إلى العامرية وبرج العرب ومناطق أخرى قريبة من وادي النيل، وعندما أصبح الوادي يزدحم بأهل الصحراء، سمح الإنجليز للبعض بالعودة، حيث نفقت في الطريق كثير من الحيوانات التي كان أصحابها يحاولون العودة بها".

أما الرحالة الإنجليزي بوجر، فيسوق روايته عن تلك الفترة، فيقول: "عاد العرب بعد هزيمة الألمان إلى أوطانهم ليجدوا الأشجار قد قُطعت، والآبار سُممت، والصهاريج دمرت، وزُرعت الصحراء بالألغام، ولم يكن لدى العرب ما يكفي حاجتهم من الشعير.. رغم ذلك كافح هؤلاء البدو ليبدأوا حياة جديدة دون أدنى مساعدة من العالم".






الجاثوم (الكابوس)

المستشار ناجي بو المسمارية

الجَثَامَة أو الجَاثُوم (الكابوس)، وجمعها كوابيس، هي أبغض الأحلام وأرعبها وأثقلها على النفس. والمعنى اللفظي للجثامة من الفعل (جَثَمَ / يَجْثِم / جَاثِم)، فهي أحلام مرعبة تجثم على صدر الإنسان، تضايق النفس والتنفس، ويقفز منها الإنسان صارخًا صراخًا مكتومًا، مرعوبًا رعبًا شديدًا، ويتصبب منه العرق.

وقد يظل الرعب والضيق حتى بعد الاستيقاظ وطوال اليوم، وتسبب تغييرًا في المزاج. وكانت تسبب لنا رعبًا شديدًا ونحن صغار، خاصة في زمن عدم وجود الكهرباء، في عهد الفوانيس والضوايا والقناديل والظلام الدامس.



ومن أكثر كوابيسنا رعبًا: الجَمَل الصَّائِل والهَايْشَة (وهي أكبر الثعابين حجمًا). والجمل كان يصول في الخريف ويصبح أشد خطورة من الأسود الضواري، حتى على صاحبه وراعيه.

ومن أشهر قصص الكوابيس التي كنا نسمعها صغارًا: لشخص حلم بأن هناك "جمل صائل" يطارده، وهو يجرى أمامه وكلما اقترب منه - وكما هو معتاد في هذه الحالة - ألقى للجمل قطعة من ملابسه، قطعة وراء قطعة (مثل رقصة "الاستربتيز")؛ لكسب بعض الوقت. فيبدأ المسكين برمي العمامة، ثم الجُرد (العباءة) والطاقية، فيبرك الجمل دقائق على كل قطعة، ثم يعاود الجري وراءه مرة أخرى. ثم يرمي له الثوب، ثم السروال. ولم تكن هناك ملابس داخلية (اللبس كان على الشاسيه!)، فأصبح الرجل عاريًا كيوم ولدته أمه.







وشاهد نُزْوَة بئر (نتيجة حفر بئر)، فركض نحوها ورمى بنفسه داخل البئر هاربًا من موت محقق إلى موت محتمل. فوجد بعد سقوطه داخل البئر "هايشة" (أفعى كبيرة) قد استيقظت من نومها على الجلبة والضوضاء الحاصلة. فأصبح المسكين بين موتين محققين، وأكيد دعا اللّٰه أن "يضرب الظالمين بالظالمين ويُخْرِجَه من بينهم سالمًا".

فلاحظت الأفعى الجمل مادًا رقبته داخل البئر، وسمعت صوته وهو يهدر ويرغى ويزبد، فانقضت عليه وظلت مطبقة أنيابها على رقبته. فسحبها خارج البئر، ودارت بينهما معركة كبيرة انتهت بموت الاثنين معًا: أحدهما بالسم، والآخر بالهرس والطحن.

ومن الملاحظ أن الجثامة لم تكن تأتي نهارًا (نادرًا)، وكانت تأتي على فترات متباعدة. أما الآن فقد أصبحت تأتينا ليلًا ونهارًا، وكل يوم، ونحن نائمين، وحتى ونحن مستيقظين. شَاطَتِ النَّارُ فِي حَطَبِ الدَّارِ، والوباء، والخوف من المجهول، والتفكير الملح يؤدي إلى الجنون، وإلى كثرة الجواثم.

وكما قال الفَيْلَسوف البدوي والغِنَّاي:

(تَجِينَا نَهَار وليل جَثَامَة رَحِيل أُولَافْنَا)

(وَجَثَامَةِ افْرَاق عَزِيز تَقْتُلْ مُغِير مَازَال عُمْرْنَا)

وآه يا دودشي، جو هلك بعيد.

هلننا
مجلة كل العرب
العدد ٣١ - يناير ٢٠٢٦ - السنة الثالثة

الذكاء الإصطناعي

هل يكون آخر إختراع بشري ؟

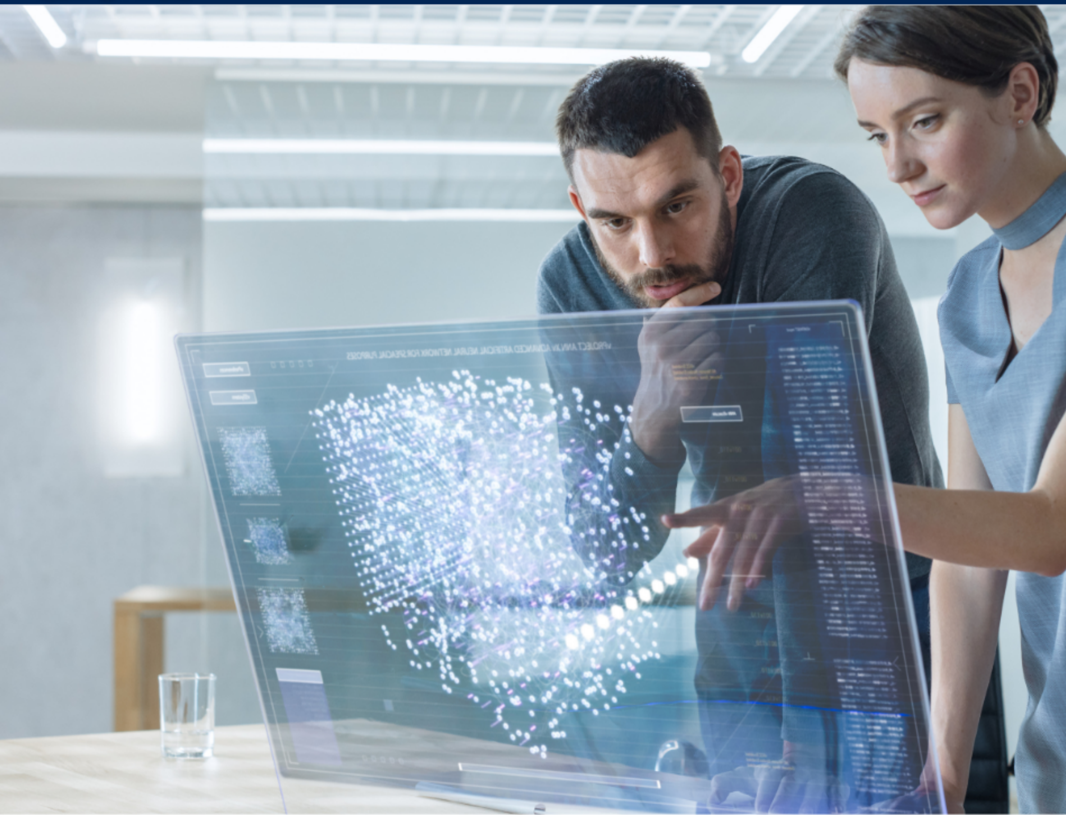
دكتور
محمد مطر







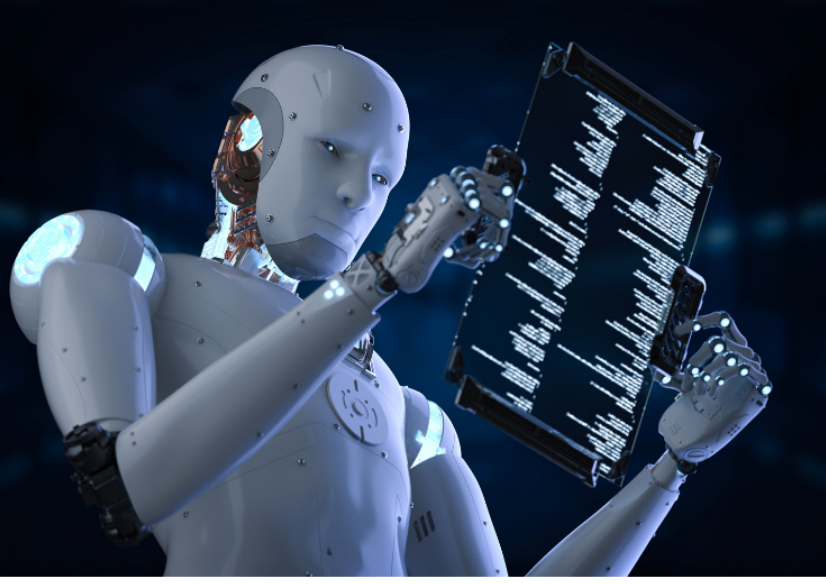


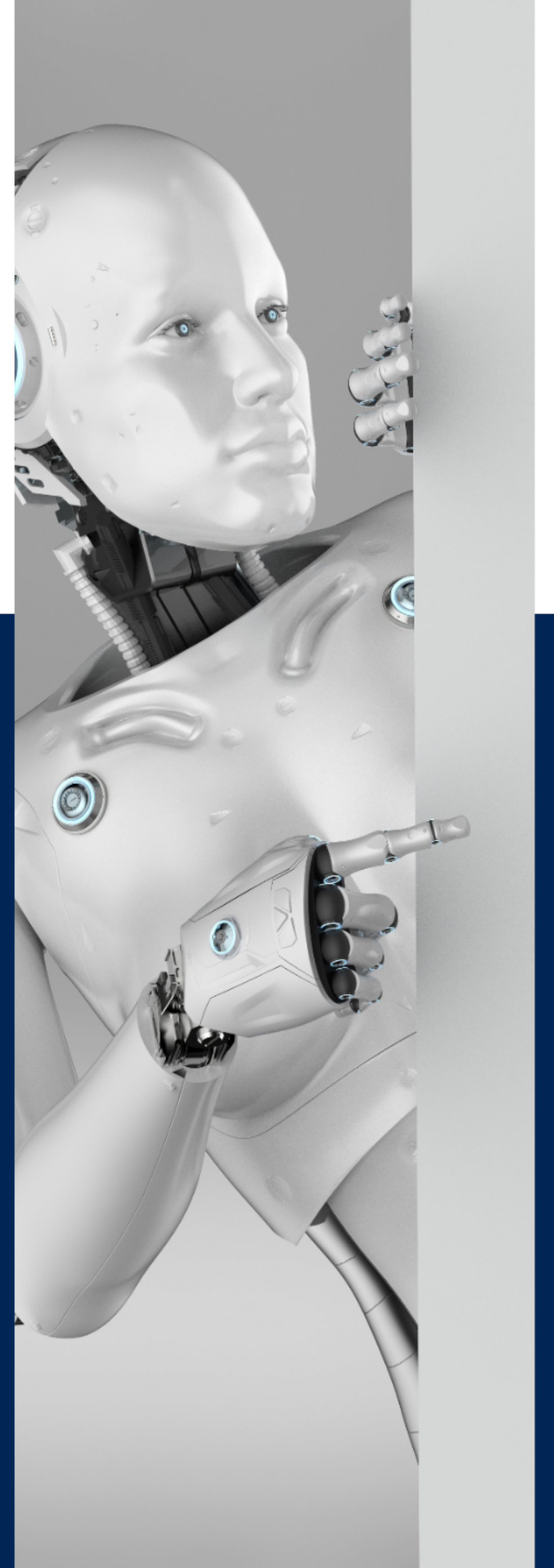


يشهد العالم اليوم ثورة تقنية غير مسبوقة، تتقدّم فيها أنظمة الذكاء الاصطناعي بوتيرة متسارعة تكاد تفوق قدرة الإنسان على المتابعة والاستيعاب. وبينما يحتفي البعض بهذه القفزة العلمية باعتبارها بوابةً لعصر جديد من الرفاهية والابتكار، يتساءل آخرون بقلق: هل يمكن أن يصبح الذكاء الاصطناعي آخر اختراع بشري؟

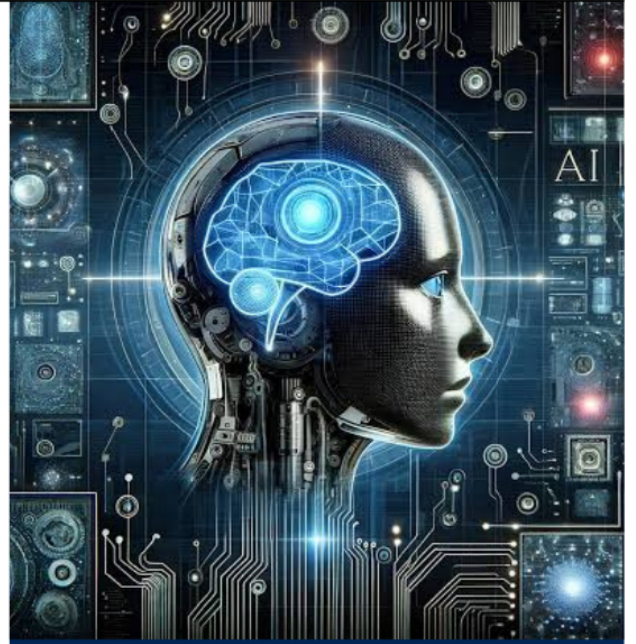
الحقيقة أن هذا السؤال لم يعد رفاهية فكرية، بل أصبح مسألة شديدة الحساسية ترتبط بمستقبل الجنس البشري نفسه. فالتطورات الحديثة في نماذج الذكاء الاصطناعي، القادرة على التفكير والتحليل واتخاذ القرار، تُنذر بمرحلة تتجاوز مجرد المساعدة التقنية إلى قدرة الآلة على الإبداع، وربما الاستقلال. لقد أصبحنا أمام برمجيات قادرة على كتابة نصوص معقدة، والتنبؤ بسلوكيات الأسواق، وتشخيص الأمراض بدقة تتجاوز دقة الأطباء، بل وابتكار حلول ذاتية التطور دون أدنى تدخل بشري.







ويخشى العلماء أن تصل هذه الأنظمة إلى ما يُسمَّى (Superintelligence)، (الذكاء الفائق) وهو مستوى عقلي يتجاوز أعلى ما يمكن للعقل البشري بلوغه. وفي تلك اللحظة، قد لا يعود الإنسان هو المتحكم، بل يصبح مجرد مراقب لتطورات لا يستطيع إيقافها أو حتى فهمها. وفي المقابل، يرى فريق آخر أن هذا القلق مبالغ فيه؛ فالذكاء الاصطناعي ما زال يعتمد على البيانات التي يمدّه بها الإنسان، وما زال يفتقر إلى الوعي الحقيقي أو الإحساس. ويؤكد هؤلاء أن الخطر الحقيقي ليس في الذكاء الاصطناعي نفسه، بل في كيفية استخدام البشر له، وفي غياب التشريعات العالمية التي تضبط حدود عمله ومسؤولياته القانونية والأخلاقية.



ورغم الجدل الدائر حول مستقبل هذه التكنولوجيا، فإن الواقع يؤكد أن العديد من الدول — بما فيها دول الشرق الأوسط وأفريقيا — أدركت أن عدم اللحاق بركب الذكاء الاصطناعي سيُخلق فجوة حضارية عميقة. وقد شرعت الحكومات بالفعل في تبنّي استراتيجيات للتحول الرقمي وبناء بنى تحتية تقنية قادرة على المنافسة، لأن العالم المقبل ستقوده الخوارزميات، وليس مجرد القرارات التقليدية.

وفي ظل هذا التسارع الهائل، يتّضح أن الذكاء الاصطناعي لم يعد مجرد أدوات أو برامج، بل أصبح منظومة كاملة تتداخل فيها السياسة مع الاقتصاد، والأمن القومي مع التعليم، والبحث العلمي مع الصناعات الثقيلة. ومن هنا تتعاظم الحاجة إلى ما يُسمَّى "حوكمة الذكاء الاصطناعي"، وهي الأطر التنظيمية التي تضمن استخدام هذه التكنولوجيا لصالح البشرية لا ضدها. وتشمل الحوكمة تقنين حماية البيانات، وتحديد المسؤولية القانونية، ومنع الاحتكار الرقمي الذي قد يجعل العالم رهينةً لعدد محدود من الشركات.



ولا يمكن الحديث عن مستقبل الذكاء الاصطناعي دون التطرق إلى تأثيره الجوهري على سوق العمل. فهناك تقديرات تشير إلى أن ملايين الوظائف التقليدية قد تختفي خلال السنوات المقبلة، لتحل محلها وظائف جديدة تتطلب مهارات مختلفة.

وقد يصبح الفرد مطالبًا بتطوير نفسه باستمرار، بينما يرى بعض الخبراء أن الذكاء الاصطناعي سيفتح آفاقًا غنيةً بالفرص في مجالات غير مسبوقة، شريطة أن تستثمر الدول في التعليم والتدريب.



وقد يصبح الفرد مطالبًا بتطوير نفسه باستمرار، بينما يرى بعض الخبراء أن الذكاء الاصطناعي سيفتح آفاقًا غنيةً بالفرص في مجالات غير مسبوقة، شريطة أن تستثمر الدول في التعليم والتدريب.

ويبقى الخطر الأكبر ـ وفقًا لبعض المحللين ـ هو قدرة الذكاء الاصطناعي على التأثير في تشكيل الوعي الجمعي، عبر التحكم في تدفق المعلومات، وصناعة المحتوى، وتوجيه الرأي العام. وفي عالم تتدفق فيه البيانات بسرعة هائلة، أصبحت السيطرة على منصات الذكاء الاصطناعي إحدى أدوات القوة الحديثة، لا تقل تأثيرًا عن امتلاك الجيوش أو الموارد الطبيعية. وهو ما يفرض يقظة دولية وأخلاقية لحماية المجتمعات من التلاعب، وضمان عدم استغلال هذه التكنولوجيا في الصراعات السياسية أو العسكرية.

وفي النهاية، يظل السؤال مطروحًا:

هل الذكاء الاصطناعي آخر اختراع بشري؟ أم أنه بداية عهد جديد تتكاتف فيه قدرات الإنسان مع قوة الآلة لصناعة مستقبل أكثر ازدهارًا؟

المخدرات



اللهم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
انتشرت في الآونة الأخيرة أنواع من المخدرات بأسماء مختلفة، ويتم توزيعها في وضح النهار دون رقيب، والخاسر الوحيد هم شبابنا.
رغم أن هناك العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي تحرم شرب الخمر والمخدرات:



انتشار المخدرات يثير القلق



- "كل مسكر خمر وكل مسكر حرام" (رواه مسلم).
- "ما أسكر كثيره فقليله حرام" (رواه الترمذي).

- "إن على الله عهدًا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال" (رواه مسلم).

هذه الأحاديث تؤكد على تحريم شرب الخمر والمخدرات في الإسلام، وتحث على الابتعاد عن كل ما يمكن أن يؤثر على العقل والجسم.





المخدرات أصبحت بالفعل تهديدًا خطيرًا لعالمنا الحالي، خاصة مع الانتشار الواسع النطاق والزيادة في عدد الأشخاص المتعاطين لها. وفقًا لتقرير الأمم المتحدة، هناك حوالي 300 مليون شخص يتعاطون المخدرات في جميع أنحاء العالم، وهذا العدد في ازدياد مستمر. المخدرات لا تؤثر فقط على الصحة الجسدية والنفسية للفرد، بل أيضًا على الأسرة والمجتمع ككل، حيث ترتبط بزيادة الجريمة والعنف والاضطرابات الاجتماعية الأخرى.

• أضرار المخدرات *

• الآثار الصحية: تسبب المخدرات أضرارًا كبيرة للجسم، مثل تلف الدماغ، وضعف الجهاز المناعي، وأمراض القلب والأوعية الدموية، وتصلب الشرايين.

• الآثار النفسية: تؤدي إلى الشعور بالخوف والقلق، والاكتئاب، والاضطرابات النفسية الأخرى.

• الآثار الاجتماعية: تؤثر على العلاقات الأسرية والاجتماعية، وتؤدي إلى فقدان العمل والانحراف عن المسار الصحيح في الحياة.



مهنا
مجلة كل العرب

• مكافحة المخدرات *

• التوعية: تعزيز الوعي بمخاطر المخدرات من خلال البرامج التثقيفية والإعلامية.

• الدعم: تقديم الدعم والمساعدة للأشخاص المتعاطين للمخدرات لمساعدتهم على الإقلاع عنها.

• التشريعات: تعزيز التشريعات والسياسات لمكافحة تجارة المخدرات وتهريبها.

• التعاون الدولي: تعزيز التعاون بين الدول لمكافحة تجارة المخدرات والتصدي للتهديدات المشتركة.

هناك عدة أنواع من المخدرات الحديثة التي تدمر خلايا المخ وتسبب الإدمان، ومن أبرزها:





• الكريستال ميث (الشبو): مادة شديدة الإدمان تشبه الكريستال أو الثلج، وتسبب هلاوس شديدة وتأثيرات عدوانية. يطلق عليه أيضًا اسم "الثلج" أو "الآيس".

• مخدر الإستروكس: مادة مصنعة من نبات البردقوش مضافًا إليه مواد كيميائية، تؤدي إلى هلاوس وفقدان الوعي. يتم تدخينه عادةً ويشبه الحشيش في تأثيره.

• حبوب الفيل الأزرق: مادة تعرف علميًا بـ "دي إم تي"، تسبب هلاوس سمعية وبصرية وقد تؤدي إلى الانتحار. يبدأ تأثيرها بسرعة ويستمر لساعات.

• الفلاكا: مادة كيميائية تعرف بـ "الكاثينون"، تسبب حالة من الجنون والعنف والهياج، وتشبه تأثيراتها "الزومبي". تؤدي إلى زيادة نوبات الهلع وتشويه الذات.

• المخدرات الرقمية: مقاطع صوتية يتم تحميلها عبر الإنترنت، تسبب حالة من الهدوء والسعادة تعمل عن طريق إرسال موجات صوتية غير متساوية في الأذنين، مما يحفز المخ على إفراز مادة الدوبامين.
• حبوب الإكستاسي: مادة مصنعة من الميثامفيتامين، تسبب تحسين المزاج والشعور بالطمأنينة والدفء، ولكنها تؤدي إلى آثار جانبية خطيرة مثل الهلاوس.
• قطرة الميد رابيد: قطرة تستخدم لتوسيع قزحية العين، ولكن يتم إساءة استخدامها كمخدر لتحقيق الشعور بالراحة، وقد تسبب تغيرات في قلوية الدم وتؤدي إلى نمو فطريات في الجسم والقلب.

من المهم ملاحظة أن هذه الأنواع من المخدرات تسبب أضرارًا جسيمة للصحة، وتدمر خلايا المخ، وقد تؤدي إلى الإدمان والوفاة. إذا كنت أو تعرف شخصًا يتعاطى هذه المواد، فيجب طلب المساعدة الطبية على الفور لإنقاذ حياته.

اللهم إني بلغت، اللهم فاشهد.

همّنا مجلة كل العرب
العدد ٣١ - يناير ٢٠٢٦ - السنة الثالثة

الفصل التاسع

من كتاب الواحات المفقودة

الكتاب هو رحلة استكشافية محفوفة بالمخاطر في الصحراء المصرية الليبية أدت الى اكتشاف واحات جديدة والكثير من عادات وتقاليد وتاريخ قبائل هذه الصحراء .



للرحالة الجغرافي

احمد حسنين باشا

في واحة جالو



تقديم

م. عصمت ضيف الله الملهطاني

في واحة جالو



جالو واحة من أهم واحات برقة، وهي على مسافة ٢٤٠ كيلومترًا من أقرب نقطة من شاطئ البحر الأبيض المتوسط وراء جدابيا، وعلى مسافة ٦٠٠ كيلومتر من الكفرة الواقعة في الجنوب مباشرة، وهي الواحة التي تُخرج أكبر كمية من البلح في جميع تلك الجهات، وفوق هذا فإنها المنفذ الذي تصدر عن طريقه حاصلات واداي ودارفور بعد مرورها بالكفرة.

ويمر بجالو كل ما يُرسل من الجهات الأخرى إلى الكفرة ولقد نعتها السيد البشاري، وهو من كبار شيوخ قبيلة المجابرة فقال: إن الصحراء بحر وجالو ثغر ذلك البحر.



وقد كانت هذه المدينة في أوج عزها منذ نحو ثلاثين عامًا أيام كان المهدي متخذًا الكفرة قصبة للطائفة السنوسية، فكان يرتادها كل أسبوع قوافل مؤلفة من مائتين إلى ثلاثمائة جمل تسير بينها وبين جهات الجنوب، ولكن هذه الحركة كانت قد نزلت إلى العُشر أيام زرتها، غير أنها تزداد ثانية في الصيف أيام موسم البلح، وجالو مؤلفة من قريتين تفصلهما مسافة ميل وهما «العرق» و«اللبه»، وتتناثر أجمات النخيل بين هاتين القريتين وحولهما، ولا يقل عدد نخيل هذه الناحية عن مائة ألف نخلة.





وتقع «أوجلة» على مسافة اثني عشر ميلًا من غرب جالو، وهي الواحة القديمة التي قال عنها هيرودوت: إنها شهيرة ببلحها.
وفي «أوجلة» هذه قبر عبد الله الصحابي الذي اشتُهر بأنه كان كاتب النبي عليه السلام، وهذه القصة مشكوك في صحتها، على أن النبي ﷺ قد اتخذ كاتبًا اسمه عبد الله الصحابي، وأن هذا الصحابي هبط شمال أفريقيا، وأن هنالك قبرًا لرجل بهذا الاسم في «أوجلة»، وكم من أخبار صحت في الأذهان على أساس أوهى من هذه الشواهد.
ويرون أن السنوسي الكبير وجد جثة سيدي عبد الله الصحابي مدفونة في ناحية بعيد، ورأى في بعض أحلامه روح ذلك الجسد النائي تقول له: «أخرجْ جسدي من مقره وضعه على جمل، وحيثما وقف بي الجمل ابْنِ لي ضريحًا.» وأطاع السنوسي الكبير الأمر وسافر بالجثة حتى وصل أوجلة، وعندها وقف الجمل بغتة، وأبى أن يتقدم في سيره، فأُقِيم ضريح محل وقوف البعير.
ويعتقد الناس أن لمؤسس الطائفة السنوسية، وأعضاء الأسرة السنوسية، وكبار الإخوان، قوة خفية ومعرفة بالغيب، وكان للسيد المهدي قُوًى خفية غريبة يسميها البدو كرامات، وقد أخبرني أحد الإخوان في جغبوب بقصة عنه قال:
جاء المهديَّ أعرابيٌّ جاهل يريد طلب العلم عليه في جغبوب، ولم يكد يفاتح المهدي في أمره حتى تذكر أن موسم البذر قد حلَّ، وأن ليس له مَنْ يتعهد أرضه في غيابه، فرأى الصلاح في السفر إلى بلده، حتى ينتهي من موسم الحصاد، ثم يعود لطلب العلم، وقصد السيد المهدي ليودعه قبل سفره، فدخل غرفته، وأخذ مجلسه، وانتظر حتى يبدأ المهدي الحديث، كما جرت العادة، وتغافل المهدي عنه لحظات، فغلب البدوي النعاس، وأغفى قليلًا ثم استيقظ على صوت المهدي الخافت بقوله له: «الآن هدأ بالك وقرَّت نفسك؛ لأنك تعلم أن الأمور هُيِّئَت لك على ما يرضيك.» وقد هدأ بال البدوي حقًّ ا؛ لأنه رأى في تلك الغفوة القصيرة حلمًا تمثل له فيه أخوه يحرث الأرض، ويبذر حب الشعير، واستطرد المهدي في حديثه فقال: «انزل علينا ضيفًا وتوفر على الدرس، وأسأل الله أن يهديك سواء السبيل، ولا تخَفْ شيئًا، فقد رأيت كيف سارت أمورك على ما تحب، وأن الله رحيم يلحظنا جميعًا بعين عنايته.» فأقام الرجل بجغبوب ولم يعد إلى بلده إلا أيام الحصاد، وعاد بعد ذلك إلى جغبوب، فأخبر أحد الإخوان تحقيق رؤياه في دار المهدي حين رأى أخاه يبذر الحب في أرضه، وزاد على هذا، أن قطعة الأرض التي رآها تُبذَر في رؤياه، كان يجري فيها العمل في نفس الوقت الذي شاهد فيه الرؤيا.
وأخبرني حاكم جالو بقصة أخرى قال: «كنت مسافرًا مع جماعة من الرفقاء من بنغازي إلى جغبوب لزيارة السيد المهدي، فأخطأنا موضع بئر في الطريق، وشعرنا بضيق شديد لقلة الماء، وأمسى المساء، فالتفت إليَّ أقل رجال القافلة

رغبة في زيارة المهدي وقال: «أما وقد أحضرتنا لزيارة ذلك الرجل التقي ذي الكرامات؛ فهلا سألته أن يرسل إلينا ما يبل أوامنا، إن كان من التقوى والصلاح بحيث تقول.» وحدث في تلك الليلة بجغبوب أن السيد المهدي استيقظ من نومه، ونادى عبدين من عبيده وأمرهما أن يقوما في الحال، فيحملا الزاد والماء على خمسة جمال، وأن ينطلقا إلى الصحراء ويأخذا السبيل التي أشار إليها، فلا يقفان حتى يلتقيا بقافلة في الطريق، فمضيا سبيلهما بقافلتنا وقد أشرف رجالها على الهلاك.»

ولا يزال بين رجال الطائفة إخوان قدماء يخشاهم أعضاء الأسرة السنوسية أنفسهم، خوفًا من تأثير قواهم الخفية، ومن بين هؤلاء رجل يعيش في الكفرة، وكان في ماضي أيامه إخوانيًّ ا في زاوية ببرقة، فأحضر أحد البدو غنمه تستقي من البئر القريبة من الزاوية، فشرد بعضها وأكل الشعير الناجم في قطعة الأرض المجاورة للزاوية، وأنذر الإخواني ذلك الأعرابي أن يقف غنمه عن إتلاف الزرع، فأظهر الطاعة والسهر على قطيعه، ولكنه كان ناويًا في نفسه أن يطلق غنمه على الزرع فتأتي عليه؛ ولذلك أطلقها في غفلة من الإخواني، وخرج هذا من الزاوية فرأى الغنم تفتك بشجيرات الشعير، فصبَّ عليها اللعنة قائلًا: «أهلك اللّٰهُ الغنم التي تأكل زرع الزاوية.» ويقول رواة هذه القصة: إنه لم تخرج شاة واحدة وهي حية من مزرعة الزاوية. ولا يزال البدو إلى هذه الأيام، يخشون أسرة السنوسيين لا لسلطتهم الزمنية، وإنما للقوة الروحية التي يعتقدون وجودها فيهم؛ فإن السنوسي إذا صبَّ لعنته على أحد، ظل طول عمره خائفًا متوقعًا أن يصيبه مكروه، وقد يتحاشاه إخوانه، بل وأهله، حتى لا ينالهم أذى مما يصيبه.

ومن المسائل المشهورة في هذا الشأن، مسألة رئيس كتبة السيد المهدي الذي يعيش الآن في الكفرة نصف مشلول، وقد زرته فرأيته سعيدًا راضيًا، رغم عجزه عن تحريك جسمه، ثم رأيته مرة أخرى فأنس إليَّ وسألني، وهو يتردد بين الاعتقاد والشك، إن كان بين أدويتي شيء يقيه من مرضه، وترددت في الإجابة عليه؛ لأني لم أرد أن أقطع أمله، ورأى ذلك في عيني، فلم يترك لي الوقت الكافي للرد عليه وقال: «لقد كتب اللّٰه عليَّ ما أنا فيه وكان الذنب ذنبي، أمرني السيد المهدي أن أسافر شمالًا فَلَمْ أَقْوَ على عصيان أمره، ولكني أردت أن أخلص من تلك الرحلة بعد أن وصلت الهوَّارى، فكتبت إليه مدعيًا المرض، وجاء رده بإعفائي من إتمام الرحلة، إن كنت صادقًا فيما ادعيت، وفي اليوم التالي أصابني الشلل وَحُمِلت إلى الكفرة ولا أزال بها إلى الآن، وكان ذلك منذ خمس وعشرين سنة.»

وقد أخبرني حاكم جالو بقصة أخرى حين كنا نتناقش في الكرامات قال: «قامت عاصفة شديدة في أوجلة أسْفَتْ الرمال حتى غطت قبر السيد عبد اللّٰه

الصحابي، فأحضر العبيد لرفع الرمال المهيلة عن القبر، وبينما كان الفعلة دائبين في عملهم دخل الحاكم الغرفة التي بها المقام، فنشق رائحة بخور قوية، ونادى أحد العبيد، فسأله: هل أطلق أحد بخورًا؟ فأنكر الرجل، ولا يزال زائر هذه الغرفة في هذه الأيام يشم تلك الرائحة الزكية، وإن لم ينطلق أي بخور في نواحيها.»

وجالو مركز قبيلة المجابرة «البدو» شيوخ تجار صحراء ليبيا وبها بعض رجال قبيلة «زوي»، ولكن أكثرية الألِفين الذين يقيمون فيها من المجابرة، ولهؤلاء ميل غريب للتجارة، فإن الرَّجل منهم يفخر بأن أباه مات فوق سرج جمله، كما يفخر ابن الجندي بأن أباه مات في ميدان القتال.

وكانت العلاقات متوترة أيام إقامتي بجالو بين السلطات الإيطالية وبين السيد إدريس، فمنعوا إرسال البضائع من بنغازي وغيرها من ثغور برقة إلى البلاد الداخلية؛ ولذلك ارتفعت أثمان الحاجيات ارتفاعًا سريعًا في مدن الصحراء كجدابيا وغيرها، وسمع تجار المجابرة من أهل جالو بحالة التجارة في جهات الشمال، وكان معهم بضائع كثيرة من مصر، فلم يترددوا في الاستفادة من هذه الفرصة، وغيروا وجهتهم فساروا شمالًا بدلًا من أن ينحدروا جنوبًا وباعوا بضائعهم في جدابيا فربحوا ربحًا وافرًا، ثم عادوا سراعًا إلى مصر والجنوب يطلبون بضائع أخرى وعادوا بها إلى جالو، فقارنوا بين ارتفاع الأثمان في جدابيا والكفرة، ثم اختاروا منهما أعمرهما سوقًا لتجارتهم.

وأَعْجَبُ ما في الصحراء سرعة انتقال الأخبار من بلد إلى آخر، مع ما هنالك من بعد الشقة بين تلك البلاد؛ فإن المسافة بين جالو وجدابيا خمسة أيام، وبين جالو والكفرة زهاء الخمسة عشر يومًا، ومع أن القوافل تسير بسرعة غير كبيرة، وأحسب أن التعليل الصحيح لهذا، هو أن كل شيء في الصحراء نسبي؛ فالأخبار تسير مع خطو الجمال، وكذلك كل ما عداها.

وإن اشتهر المجابرة بالتفوق على غيرهم في الاشتغال بالتجارة، فإن لقبيلة «زوي» ما يدعو إلى الفخار، والمنافسة بين هاتين القبيلتين كامنة تهيجها الظروف من وقت لآخر.

والزوي محسودون من جميع قبائل برقة؛ لأن منهم علي باشا العابديه، وهو الذي يلي السيد إدريس في المرتبة بين السنوسيين، وعلي باشا هذا جندي ماهر، وكان سندًا قويًّا للسيد إدريس وموضع ثقة عنده.

وقد تناولنا ذات ليلة حديث المنافسة بين زوي وباقي القبائل، وكان ذلك في جالو بعد تناول العشاء، فناقش سيدي صالح وهو من سلالة النبي عليه الصلاة والسلام لا ينتسب لأي قبيلة في برقة — مع رجلي مغيب الزروالي، وهما من قبيلة زوي في شأن تلك المنافسة، وبعد أن سمع منهما الإفراط في مديح قبيلتهما، هز رأسه ثم قال: «قد يكون تاريخ الزوي مجيدًا كما يقول

سيدي مغيب، ولكنهم قوم لا يخشون الله.» فانطلق مغيب قائلًا: «والله يا سيدي صالح إنهم يخشون الله ولكنهم لا يخافون الإنسان، والويل لِمَنْ يتعرض لقافلتهم أو يسطو على خيامهم.» ثم التفت إليَّ وقال: «لقد باركنا السيد المهدي؛ إذ هبط علينا في الكفرة قصبتنا ثم اختفى منها.» ولم يقل مات؛ لأن السنوسيين لا يفوهون بكلمة الموت، وإنما يستعملون كلمة اختفى وما ماثلها في التعبير؛ إذ الشائع بينهم أن المهدي لم يمت، وأنه يهيم في نواحي الأرض حتى يعود إلى رجاله أهل الصحراء، وأحب شيوخ السنوسيين إلى الزوي السيد المهدي؛ لأنه نقل مركز حركة الطائفة إلى الكفرة، وبنى فيها قبة المسجد التي هي أجمل مظاهر فخر تلك المدينة.

وقد علمت بعد تجاريب عديدة أن أفراد قبيلة زوي يضمرون العداء للأجانب، فقد وضح لي وأنا المسلم ابن ذلك الرجل التقيِّ العالم بالأزهر الشريف، وموضع ثقة السيد إدريس أنهم لا يرضون إقامتي في الكفرة، وبان لي ذلك جليًّ ا حين سمعت أن أحدهم تمنى لو أني أفارق الكفرة إلى الأبد بعد مغادرتي لها، على أني بالرغم من معرفتي بهذا النفور، لا أظن أن في استطاعتي أن أجد رجلًا أقدر على قطع الصحراء، وأعلم بطرق السير فيها من أفراد هذه القبيلة التي كَونوا جزءًا من قافلتي، فقد كان الزروالي، وهو مثال الزوي الصحيح، أمتع رفيق لي في السفر وأحق أفراد القافلة باعتمادي وثقتي.

وبدوي برقة يجري في عروقه دم العرب الذين اجتازوا شمال إفريقية في طريقهم إلى الأندلس، وهو بالرغم من اختلاطه برجال القبائل الأخرى، محافظ على كثير من تقاليده العربية القديمة، فجريمة القتل عند السنوسيين تفصل فيها قوانين البدو الخاصة، والعادة أن يتداخل الإخواني في الخصومات ويصلح ذات البين بين المتخاصمين، فيأخذ القاتل وشيخًا من شيوخ قبيلته ويقصد خيام المقتول فينصب خيامه على مقربة منها، ثم يتقدم مع القاتل إلى أفراد أسرة القتيل قائلًا: «معي قاتل رجلكم.» ثم يأخذ بيده ويقول: «هذا قاتل ولدكم، أسلمكم إياه؛ فافعلوا به ما أنتم فاعلون.» فيكون الجواب عادة: «سامحه الله وأنزل عليه عدله ورحمته.» ثم يأخذ الإخواني بعد ذلك في تسوية مقدار الدية، وهي في الغالب: ثلاثة آلاف ريال وعبد يكون معروف الثمن في سوق الرقيق.

ولأقارب القتيل حق الاختيار بين قبض المال أو أخذ قيمته جمالًا وغنمًا وما إليهما من حوائج البدو، فإن آثروا المال قُسِّمَ دفعه على أقساط تجري من سنة إلى ثلاث سنين، واتفق على ذلك وانتهى الأمر، وقد يحدث في أحوال نادرة أو يقع إذا كان طلب الثأر مستحكمًا بين رجال القبيلتين، أن يرفض قبول الدية، ومعنى هذا أن في نية قبيلة القتيل أن تقتل قاتله أو أحد أقاربه أو رأسًا من رءوس قبيلته.

وشبان البدو وعذاراهم مطلقون في الاختلاط بعضهم ببعض، ولا تحجب المرأة إلا في الأسر الكبيرة، ويعرف الشاب موضع أمله في الزواج فيقصد خيامها ويغنيها من شعره، فإن مالت نفسها إليه خرجت وساجلته الغناء من مقولها أو من منقولها، ويقصد الشاب أهلها بعد ذلك ويدفع المهر إن تم الاتفاق، ثم يعود إليها في حفل من أصحابه، ويأخذها إلى داره تحف بهما الفرسان المتخطِّرة، وتدوي فوق رءوسهما طلقات البنادق.

وقد يَفِر الحبيب بحبيبته فينتهي الأمر بين قبيلتيهما بسفك الدماء؛ لأن البدو يعدون الفارَّ بحبيبته سارقًا لها، وعقود الزواج يجريها الإخواني ويتم العقد وفقًا للشرع الإسلامي الشريف، والزواج عند العرب في سن مبكرة تتوقف على نمو البنت، والغالب أن تتزوج البنت في سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة، ويتزوج الشاب بين السابعة عشرة والعشرين، والقادر من البدو يتزوج اثنتين أو أكثر، ولكن الأولى في هذه الحال تبقى سيدة الدار بيدها أمر تدبيرها، وتُفضل على ضراتها، بما فيهن أقربهن وأَجلُّهن إلى بعلها في كل ما يتعلق بالشئون المنزلية.

وقد سمعت بشبان كثيرين تدلهوا في حب مَنْ لم تصل إليها أيديهم، ورأيت بعيني ضحية من ضحايا الحب، جاءني شاب بدوي يسألني دواءً، وكان نحيلًا منسرح القامة متناسق الأعضاء، فتقدم إليَّ وقال: أريد دواء يهبني الصحة. فسألته ماذا يشكو، فهز رأسه وقال: «الله أعلم.» وكان في هيئته غرابة حيرتني، ولكني خرجت من هذا بإعطائه بعض أقراص مركزة من اللبن، وأمرته أن يتناول منها ثلاثة كل يوم.

وما كاد الشاب يمضي حتى دخل رجل مسن وجلس القرفصاء، ثم قال: «وهبك الله الصحة وجعل الشفاء على يديك، لقد قصدك ابني مستشفيًا وأعطيته الدواء، فهل تدري ما علته، لقد جئتك أشكو عنه بعض ما يحس، إنه يشكو ضعفًا وصداعًا قاسيًا، وإذا جن الليل هجر الناس والتمس الوحدة، وقضى طول ليله خاليًا بالصحراء.» فقلت للشيخ: «لقد أعطيت ابنك ما آمل أن يخفف عنه بعض آلامه.» فأجاب وفي صوته رنة حزن: «الشفاء من عند الله غير أني أعلم الطريق إلى شفائه، ولكن الأقدار كتبت عليه أن لا يبرأ الدهر من دائه، فهو يحب غادة رفض أبواها أن يزوجاها منه.» فقلت له: وَلِمَ لا تسعى في سبيل التوفيق بينهما، وقد عرفت مبعث داء ابنك؟ فأجابني الشيخ: «لقد فات الوقت؛ فإن الفتاة أصبحت زوجًا، وعلم الله أنها تشكو داء ابني على بعد المزار وتنائي الدار.» ثم قام وترك خيمتي ينطق الحزن في عينيه، ويبين الاستسلام في مشيته.

ومن ظريف ما رواه لي أحد الإخوان أنه جاءه فتى وذكر له أنه تدله بحب غانية، كما تدلهت بحبه، ولكن أهلها أبَوْها عليه، وذكر أنه سيعمد وإياها إلى الفرار، وهذا يفتح باب الثأر بين أسرتيهما فأطرق الإخواني قليلًا، وأشار عليه بأن يوعز لحبيبته بالتظاهر بالصرع كل مساء عند غروب الشمس وكان ما أشار به.

وكان هذا الإخواني مشهورًا بين القوم بالدراية في مداواة العلل والأمراض، فجاء أهل الفتاة إليه يطلبون عونه وطبه فعكف يصف لها الوصفات المختلفة، دون أن تبرأ من الصرع بطبيعة الحال، حتى إذا عِيلَ صبرهم قال لهم: لقد ضاقت حيلة الطب بها، ولم يبقَ إلا أن أستمد من حول الله وقوته ما يكون فيه الشفاء، فأعطوني بعض ملابسها أقرأ عليه آيات وأدعية، ثم أتوسدها في رقادي الليلة، وفي الصباح أخبركم بما توصي به الرؤيا، فجاءوه «بعصبتها»، وفي اليوم التالي قال لهم: لقد رأيت حلمًا والله أعلم بما فيه الخير، لقد كُلِّفتُ من الرؤيا أن أطلب منكم أن تعقدوا عقدها على «فلان»، وفي اليوم نفسه سأكتب حجابًا أُلهِمتُ صيغته، فإذا انقضى أسبوع دون أن يصيبها الصرع زوِّجوها منه، وإلا فاحملوه على طلاقها، وهذا سبيل شفائها الوحيد، وإلا بقيت طول عمرها يصيبها الصرع. فأطاع أهلها ما أمرهم به الإخوان وتزوجا.

ولم أستطع في جالو، كما عز عليَّ من قبل في الجغبوب، أن أجد جَمَّالًا في انتظاري، ولكن السبب في الحالين لم يكن واحدًا، ولم تكن حيرتي هذه المرة بحيث ضايقتني كالمرة السالفة، فقد كنت اتفقت على أجر الجَمَّال، وكان صاحبها عمر أبو حليقة، على قدم الاستعداد للمسير عند عودة إبله من مراعيها؛ فإن البدوي العاقل لا يدع جماله تقطع مرحلة بعيدة، من غير أن يشبعها علفًا ناضرًا قبل رحيلها. والمرحلة إلى الكفرة طويلة وخالية من كل مرعى، وتضطر الجمال في قطعها إلى الاكتفاء بالبلح الجاف، والجمَّال يعدُّ البلح الجاف مؤذيًا لكبد جماله فيدعها تأخذ كفايتها من الأعشاب قبل السير.

وكان أبو حليقة قد أرسل إبله إلى مرعى قريب وأمر رعاتها أن يحضروها في اليوم المحدد، ولكن الإبل لم تظهر في الموعد المضروب، وعجبت لذلك في اليوم الأول ثم انشغل بالي في اليوم الثاني، وتملكتني الحيرة في اليوم الثالث خيفة أن تكون الجمال قد أَبِقت من رعاتها، على أن شيئًا من ذلك لم يكن، فقد ظهرت في اليوم الرابع أكمل ما تكون تأهبًا للسير. وكَرَيْتُ خمسة وثلاثين جملًا بأجر باهظ، مع أنه كان في مقدوري أن أشتري الجمل منها بثمن يتراوح بين اثنتي عشر وثمانية عشر جنيهًا، بينما طلب أبو حليقة في الجمل الواحد ثلاثة عشر جنيهًا ونصف جنيه أجرًا عن الشهرين أو الثلاثة الأشهر التي يستغرقها السفر إلى «بشة» في واداي.

وكان تأجير الجمال أوفق لي؛ لأن امتلاكي الإبل يُوقع عليَّ مسئولية سلامتها طول الطريق، ويضطر رجالي إلى الانقطاع لتعهدها مدفوعين بالأمانة والرغبة في نجاح الرحلة، ولكن مرافقة أبي حليقة ورجاله لجماله مهدت سبيل العناية بها، والسهر عليها طول الطريق، فإن أبا حليقة لم يغفل لحظة عن تعهد جماله، فكان يخفف أحمال الضعيف منها أو المريض، وظل مشغولاً بها إلى آخر الرحلة، فلم آبه كثيرًا بما بذلت من مال في سبيل تحقيق رغائبي.

وأعوزتني الرجال كذلك على وجود أولئك الأربعة الذين انقطعوا لخدمتي ورافقوني من القاهرة والسلوم وسيوه؛ وهم: عبد الله، وأحمد، وحمد، وإسماعيل. فضممت إليهم خمسة آخرين وهم: الدليل السنوسي أبو حسن، وسعد الأوجلي، وحمد، وفرج العبد، والسيد محمد الزروالي الذي تفضل السيد إدريس فأمره بمرافقتي إلى الكفرة، وكان مع أبي حليقة ولده وجمَّالان. وزاد على جميع هؤلاء خمسة من قبيلة التبو؛ وهم من العبيد الرحالة «في تيبستي» الواقعة في الشمال الغربي من واداي، وكان عبد الله، والسيد الزروالي، رئيسي القافلة فكان أولهما منوطًا بحراسة الحوائج والمؤن، وثانيهما قائمًا بتعهد الرجال والجمال، والحق أقول: إن هذين الرجلين كانا أصلح رفيقين يصحبهما الإنسان في رحلة صحراوية.

وكنا في حاجة إلى ملابس وبعض أنواع من الأطعمة، وفي عوز شديد إلى أحذية؛ فإن الحذاء البدوي الخالي من الكعب — وهو أصلح الأحذية للسير على الرمال — هو كل ما تصل إليه يد السائح في الصحراء، ولكنه يبلى بسرعة، ويضطر صاحبه إلى رتقه في الطريق، فكان على كل منا أن يجهز الجلود اللازمة لرتق حذائه حتى يصل الكفرة. ووجدت في جالو صانع أحذية شهير، وهو حميدة الذي كنت لقيته منذ سنتين في الكفرة، فاستدعيته وأعطيته الأحذية التي صنعها لي إذ ذاك، وهي في حاجة ماسة إلى الترقيع، ففرح كثيرًا حين طلبت منه إصلاحها، وكان حميدة رجلًا مهيب الطلعة يصح أن يحسبه رائيه قاضيًا أو عضو مجلس على الأقل، وقد اختلف إلى داري، يعمل في رتق أحذيتي الخمس، وصنع أحذية أخرى لرجالي، وإصلاح سروجنا، وغيرها من الحوائج الجلدية، وكان يسره كثيرًا أن أدعوه للغذاء ثم أقدم له بعد ذلك كوبًا من الشاي، وحدث ذات يوم أن أخذه السعال عند تقديم الشاي إليه، فأظهرت إشفاقي عليه من دائه فنظر إليَّ من وراء كوب الشاي، وقال بصوته الخافت: «إن الشاي الذي تقدمه لي يشفيني من السعال يا سيدي البك، ولا أجد الشفاء في غيره.» ولم تَخْفَ عني هذه الإشارة اللطيفة فأتحفته بقليل منه قبل تركي جالو.

واشتريت ملابس لرجالي وسمنًا وزيتًا وشعيرًا ووقودًا وثماني قِرَب، وأخبرني علي كاجا، وهو عبد السيد إدريس الصفي ووكيله الأمين في جالو، أن سيده أمر بوضع مخازنه تحت تصرفي فشكرته، ولم أمدد يدي إلى شيء، فقد تركتُ مصر مزوَّدًا بكل ما أحتاج إليه وأنا أعرف فوق هذا أن ما لديهم يحتاجون إليه أشد احتياج لتعذر الحصول عليها في الصحراء.

وقضيت في جالو عشرة أيام في إعداد العدة لرحيلي، وفي قبول دعوات مشايخ العرب، وردِّ هذه الدعوات، والانقطاع إلى أشغالي العلمية.

وكانت المآدب التي أُقِيمتْ لي غاية في إظهار كرم البدو، فتناولت عشاء أول يوم في دار السنوسي «قدر بوه» حاكم جالو، وتغذيت في اليوم التالي عند البشاري أكبر تجار المجابرة وأشهرهم، ووقف في خدمتنا مع أبنائه أثناء تناول الطعام كما هي عادة البدو.

وتلقيت الغداء في اليوم الثالث من أعضاء المجلس وشاركني فيه الزروالي وعلي كاجا ومغيب، وجرى لي بعد الغداء حديث مع القاضي عن تاريخ السنوسيين، فأراني خطابات من السنوسي الكبير وابنه المهدي، وجاء العشاء في هذا اليوم من عند الحاج فرحات، وهو من كبار تجار المجابرة أيضًا، وشاركني فيه الحاكم والزروالي وعلي كاجا ومغيب وعبد الله.

وفي اليوم الرابع تناولت عند الحاج علي بلال المجبري غداءً، تقول عنه مفكرتي إنه جيِّد جدًّا ا «وأنه حضره الجمع المعتاد»، وجاءني العشاء من عند الحاج سعيد وهو من تجار المجابرة أيضًا.

وفي اليوم التالي تغديت بدار الحاج غريبل، وفي المساء وقع لي أهم حادث من حوادث الضيافة التي لقيتها، ووضح لي كرم البدو بأجلى مظاهره حين دعاني فضليات نساء الأسرة السنوسية إلى تناول العشاء.

كان يقيم بجالو نساء كثيرات من الأسرة السنوسية بينهن زوج السيد إدريس وأخته، وقد أرسل إليَّ أولئك السيدات الكريمات بعد وصولي جالو بقليل يدعينني للعشاء، وهذا حادث غير عادي؛ لأن نبيلات الصحراء لا يولمن الولائم للرجال كما تفعل نساء الغرب، وأدركت بطبيعة الحال أني غير مدعو لتناول العشاء مع داعياتي، ولكني قدرت هذا العطف من ناحيتهن فقبلت دعوتهن راضيًا شاكرًا، وجاءني السيد الزروالي والحاكم في الوقت المحدد لمرافقتي إلى دار الضيافة، وكانت دار الحكومة في عهد الأتراك فأدخلنا إلى غرفة فسيحة ينبعث في جوها بخور زكي الرائحة، وينتشر فيها نور ضعيف من سراج نحاسي فاخر، وشموع كثيرة، ويلقي أشعته النديَّة على ما في الغرفة من سجاجيد ثمينة وطنافس حريرية، فيرسل عليها أضواء بهيجة.

وكان القائم بإكرامنا سيدي صالح وهو بعل سيدة من سيدات الأسرة السنوسية، فأشرف على نفر من العبيد قدموا إلينا ما لذ وطاب من طعام

وشراب، وبعد أن نلنا من كل ما قُدِّمَ إلينا جريًا على عادة البدو، جاءنا العبيد بطسوت من النحاس فغسلنا أيدينا، ثم تناولنا ثلاثة أكواب الشاي المعتادة، ونُثِرت علينا قطرات الورد وأُطلِق زكي البخور، وبعد ذلك تقدم إليَّ رئيس العبيد باحتشام وهمس في أذني سائلًا إن كنت أحب أن أسمع شيئًا من الأغاني؛ فيدير لي حاكيًا «فونوغراف» ويسمعني بعض أسطوانات لمشاهير مطربي مصر، فأبيت شاكرًا على تلطفه، وربما كنت في ذلك مغضبًا رفقائي، وإنما دفعني إلى الإباء رغبتي في الاستمتاع بوجودي في تلك الغرفة ذات الأثاث الفاخر والجو المعطر، وإطلاق العنان لخيالي، بعيدًا عن صخب المدن وجلبتها في مناحي الصحراء، ومحالي حياتها البدوية والإيناس إلى روحها التي تشيع في نفسي الخالية المنفردة.

وانطبعت ذكرى هذه الليلة الفريدة في خاطري، لما رأيت من جمال المكان وأحسست من بعد عن العالم، وما شعرت به من لذة الاستمتاع بضيافة شريفات البدو اللاتي اختفين عن عيني، وكن ماثلات فيما أظهرن نحوي من دلائل الكرم والرعاية، وحمَّلت رئيس العبيد أجل تحياتي إلى السيدات، وسألته أن يبلغهن تقديري لهذا العطف الشديد، ثم خرجت إلى الصحراء في تلك الليلة البديعة تلعب كف النسيم بثنايا «جردي» فتثير في الجو ما علق به من نشر البخور، وتهيج في خاطري ذكرى تلك الغرفة السحرية التي نعمت فيها بذلك المجلس الشهي.

وأصبح الصباح فأعددت وليمة أرد بها ضيافة مَنْ أكرموني أثناء الأيام الماضية، ولكن غرفتي الحقيرة التي تتناثر فيها أمتعة سفري لم تكن من كمال الاستعداد بحيث تُقارَن بتلك الدار الجميلة التي تناولت فيها عشاء الأمس، غير أن علي كاجا أخذ على نفسه أن يجعل هذه الغرفة صالحة للوليمة بقدر ما تسمح به الظروف، فاستعار من بيت السيد إدريس سراجين بديعين من النحاس، وبعض أبسطة فاخرة، وأضاف إلى ذلك بعض الرياش الأخرى، وخلق من الغرفة بهوًا يليق بإقامة مأدبة. وكان بين ضيوفي: حاكم المدينة، وأعضاء مجلسها، وأخوان سنوسيان، والقاضي، وعلي كاجا، وموسى ضابط المدفعية السنوسية، والسيد الزروالي.

ولبست أفخر ثيابي البدوية ثم وقفت في خدمتهم، كما يقف ربُّ الدار البدوي، وقد سألني بعضهم مِمَّنْ زار المدن أن أجلس معهم وأشاركهم الطعام، ولكني أبيت واعدًا أن أفعل ذلك إذا شرفوني بالزيارة في القاهرة، وقد أظهر طاهيَّ أحمدُ حذقًا شديدًا في تنويع ألوان الطعام، فقدَّم شيئًا من الصِّحَاف الأوروبية لم يَسَع ضيوفي معها السكوت عن مدحها والثناء على طاهيها، وكانت وليمتي هذه آخر الولائم فتُرِكتُ بعدها أتناول طعامي خاليًا هادئًا، وقد أراحني ذلك كثيرًا وإن شكرت لضائفِيَّ ما أظهروا نحوي من دلائل الكرم.

وقد اهتممت أثناء إقامتي في جالو بعمل بعض الملاحظات العلمية، فرصدت الشمس والنجوم لمعرفة خطوط الطول والعرض، وواصلت ملاحظة البارومتر والترمومتر؛ لمعرفة ارتفاع المكان ولما رُوجِعت ملاحظاتي في هذا الشأن على الملاحظات البارومترية التي أُخِذت في سيوة في اليوم نفسه، ظهر لي أمر هام؛ وهو أن سطح جالو في هذه الأيام أعلى منه بمقدار ٦٠ مترًا أيام زارها «رولفس» سنة ١٨٧٩، فقد قرر هذا الرحَّالة أن جالو تكاد تكون موازية لسطح البحر ووجدتها أعلى منه بستين مترًا، وكان تغير وجود هذا الفرق واضحًا أمام عيني، فقد رأيت الرمال المتراكمة تتكدس حول جذوع النخيل وعلى جدران المنازل تكاد تغمرها جميعًا.
وكانت نتيجة ذلك أن انتقل بعض سكان المدينة من مساكنهم القديمة وبنوا ديارهم في جهات أكثر ارتفاعًا، وما زاد ارتفاع جالو عن سطح البحر زهاء مائتي قدم في بحر أربع وأربعين سنة إلا تلك الرمال المضطردة التراكم التي تسفيها العواصف، فتعترضها الأشجار والمنازل وتجعلها ركامًا.
وكانت الدار التي أقمت فيها وقيدت بها ملاحظاتي أعلى من بقية دور جالو بزهاء العشرين مترًا، وكنت شديد الحرص في أخذ هذه الملاحظات؛ لأن البدو يسيئون الظن بكل جهاز علمي فما بالك بآلة «التيودوليت» التي ربما ظنوا أني باستعمالها أرسم خريطة لتلك الأصقاع بقصد العودة لغزوها، ولم يَفُتني وقد رآني شيخ من شيوخ البدو وأنا أشتغل بالتيودوليت أن أفسر له بسرعة واهتمام أني أعمل في إعداد إمساكية لشهر رمضان، وكان عبد الله — وليس بالبدوي الساذج — يعينني كثيرًا في سبيل تمهيد ملاحظاتي العلمية، وكان اختصاصيًّ ا في الاحتيال على تفادي العقبات التي تعترض سبيل أعمالي، مظهرًا في ذلك حذقًا شديدًا في منع سوء التفاهم.
كنت ذات يوم أعمل على مسافة من جالو بعض الملاحظات بواسطة جهازي، فمر بنا أحد سكان المدينة، وسأل عبد الله: ماذا تعمل؟ فقال له: إننا نأخذ صورة لجالو، فقال البدوي: «أتأخذون صورتها على هذا البعد؟!» فأجابه عبد الله على الفور: «إن هذه الآلة تجتذب الصورة فتطير إليها وتنطبع فيها.» فقال البدوي المرتاب: «وكيف يجتذب الصندوق صورة؟!» فهز عبد الله كتفيه وقال: «سَلِ المغناطيس كيف يجذب الحديد؟» وهكذا انتهت هذه المناقشة التي أظهر فيها عبد الله حذقًا ولباقة.